# الصور البلاغية

# في

# الربع الثاني من سورة النحل

# من الآية الثلاثين إلى

# نهاية الآية الخمسين


إعداد

**الدكتور/ محمود خليفة محمود حفناوي**

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

في كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للوافدين بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الصور البلاغية في الربع الثاني من سورة النحل من الآية الثلاثين إلى نهاية الآية الخمسين

إعداد
الدكتور/ محمود خليفة محمود حفناوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
في كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للوافدين بالقاهرة

الحمد لله رب العالمين . ﷺ وعلى أهله وصحبه

هذا بحث عن الصور البلاغية في القرآن الكريم بخصوص الربع الثاني من سورة النحل. الإعجاز البلاغي في القرآن يمثل الجانب المنير من الإعجاز العام للقرآن الكريم. وقد اتفق جميع العلماء على كونه من الأنواع الأكثر أهمية في ذلك الإعجاز. على الرغم من أن القرآن الكريم له جوانب أخرى من الإعجاز إلا أن هذا الجانب هو الأهم لأنه يصل إلى ذروته في البلاغة والبلاغة والالقاء. على الرغم من أن الجملة القرآنية قد تتكون من بضع كلمات ، فإنها تعبر عن معنى لا يمكن توصيله إلا عن طريق مضاعفة عدد الكلمات. يتم ذلك من خلال شخصيات مختلفة من الخطب ، مثل التشبيهات الساطعة والاستعارات العليا ، والجناس ، والنقيض ، والتورية ، وما إلى ذلك.

في هذا البحث، يمكننا أن نجد أدلة ملموسة فيما يتعلق بهذا الجانب من عدم القدرة على التحمل. يتناول البحث ٢٠ آية من سورة النحل، ويبحث في الجوانب البلاغية والكلامية فيها. وبالتالي، تم العثور على أكثر من ١٠٠ نوع من البلاغة والبلاغة والعبارات، مما يدل على عظمة القرآن. القرآن هو الكتاب المقدس الذي كشفه الله لإرشاد الناس وإخراجهم من الظلام إلى النور.

الحمد لله رب كل الإبداعات

# Figures of Speech in the Second Quarter of Surat An-Naḥl (Verses: 30- 50)

Set up
**Dr. Mahmoud Khalifa Mahmoud Hafnawi**
Professor of Interpretation and Sciences of the Qur'an At the Faculty of Islamic Sciences al-Azhar for expatriates in Cairo

## Abstract

Praise be to Allah the Lord of the worlds. May the blessings and peace of Allah be upon the most honourable of Messengers, our Master Muḥammad, peace be upon him and upon all his family and companions!

This is a research on the figures of speeches in the Holy Qurʾān regarding the second quarter of Sūrat An-Naḥl. The rhetorical inimitability in the Qurʿān represents an illuminating aspect out of the general inimitability of the Qurʾān. All the scholars have agreed on it being the most significant kind of that inimitability. Although the Qurʾān has other aspects of inimitability but this one is the most important since it reaches the peak in eloquence, rhetoric and diction. Even though a Qurʾānic sentence may consist of a few words, it expresses a meaning that can be communicated only by double that number of words. This is done through various figures of speeches, such as bright similes, supreme metaphors, anaphora, antithesis, puns and so on.

In this research, we can find concrete proofs with respect to this aspect of inimitability. The research tackles 20 verses from Sūrat An-Naḥl, and investigates the inimitability and rhetorical aspects in them. Consequently, over 100 types of eloquence, rhetoric and diction aspects are found, showing the magnificence of the Qurʾān. The Qurʾān is the Holy book revealed by Allah to guide people and bring them out from darkness into the light.

Praise be to Allah, the Lord of all creations.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب، وأودع فيه من جميل اللفظ، وجودة الأسلوب، وحسن السبك، الشيء العجاب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء، وجعله نبراسا وهدى لأولي الألباب، أشهد أن لا إله إلا الله رب الأرباب، ومنزل المطر، ومجري السحاب، وخالق الأسباب، والصلاة والسلام على النبي الأمي الحبيب المصطفى، والرسول المجتبى، الطاهر الزكي، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب! وبعد:

فإن أولى ما أعملت فيه العقول والأذهان، وأفنيت فيه السنون والأعمار، وخاضت في معانيه ومراميه القلوب والأبصار، البحث في أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل ما كر الجديدان، الليل والنهار.

فهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالت : (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ولَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ) [الجن: ١، ٢]، فقد بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه فرأيته

**كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا**

**كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشي البلاد مشارقا ومغاربا**

لذا كان أسمى الرغبات، وأعلى التعلقات، وأجلى التطلعات، مدارسة هذا الكتاب الكريم، والكشف عن حقائقه وأسراره، والوقوف على معانيه ومراميه،

والاعتناء بعلوم وفنون وضعت على ضفافه، لإبراز جماله وكماله، وإظهار إعجازه، وكشف اللثام عن فصاحته وبيانه، على رأس هذا كله علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) فهذه العلوم مع علم التفسير تظهر كلام ربنا الحكيم العليم.

وقد نبه الزمخشري –رحمه الله– في مقدمة كشافه على العلاقة بين علم التفسير وعلوم البلاغة، وأنه لا يجوز لمقدم على تفسير كلام الله تعالى أن يتعاطى هذا العلم، إلا إذا برز في علوم البلاغة، ونال منها حظا وافرا، فقال: فالفقيه وإن برز على الأقوام، في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز على أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همه في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات.[1]

[1] – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت٥٣٨هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ على محمد معوض –ا.د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، طبعة مكتبة العبيكان، ط١: ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م ٩٦/١.

حتى إن الإمام السكاكي –رحمه الله– حذر كل من يقدم على التفسير دون أن يكون مجيدا لهذه العلوم الثلاثة فقال: الواقف على تمام مراد الحكيم – تعالى وتقدس– من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين (علم المعاني وعلم البيان) كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيها راجل.[١]

ونقل الإمام السيوطي في الإتقان أن هذه العلوم الثلاثة من أركان المفسر فقال: المعاني والبيان والبديع (من العلوم التي يحتاج إليها المفسر) لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.[٢]

ومن هنا بات واضحا أهمية تلكم الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم؛ وما هذا البحث إلا خطوة على الدرب في هذا الشأن، والله الموفق والمستعان.

وقد جاء هذا البحث بعنوان:

---

[١] – مفتاح العلوم للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ت٦٢٦هـ، ضبط وتعليق نعيم زرزور، طبعة دار الكتب العلمية ط١: ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م، ص١٦٢.

[٢] – الإتقان في علوم القرآن للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ، ٦/٢٢٩٥.

## الصور البلاغية في الربع الثاني من سورة النحل من الآية الثلاثين إلى نهاية الآية الخمسين

هذا وقد شاء الله تعالى أن يكون لهذا البحث منهج وخطة.

**أما المنهج فقد جاء مرتكزا على ثلاث ركائز أساسية هي:**

الركيزة الأولى: كتابة الآية المراد إبراز الصور البلاغية فيها في أعلى الصفحة.

الركيزة الثانية: التنصيص على ذكر المناسبة للآية المقصود استخراج الألوان البلاغية منها بما قبلها من الآي في السورة الكريمة، وذلك لبيان اتصال السياق القرآني، وربط الآيات المنوطة بدراستها دراسة بلاغية بعضها مع بعض، وإتماما للفائدة.

الركيزة الثالثة: ذكر ما اشتملت عليه الآية الكريمة من صور بلاغية، سواء أكانت هذه الصور البلاغية من باب واحد من أبواب البلاغة، أو من أبواب متفرقة مرتبا هذه الصور البلاغية حسب ترتيب ورودها في الآية الكريمة، فتكون الآية الكريمة هي الأصل، والصور والألوان البلاغية هي التابع، مُتْبعا ذلك ذكر أثر هذه الصور البلاغية وفائدتها في المعنى التفسيري للآيات الكريمة، مع إطلالة على المعنى الإجمالي للآية الكريمة المنوطة بالحديث عنها؛ والله الموفق والمستعان.

أما خطة هذا البحث فجاءت في مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد ضمنتها البسملة، والحمدلة، والتصلية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وموقع علم البلاغة من الدراسات القرآنية، ومنهجي الذي سرت عليه في هذا البحث، وخطتي في التوصل إلى مقصودي منه، وأما

التمهيد فقد ضمنته تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح، ومعنى الصورة البلاغية وقيمتها بالنسبة إلى علم التفسير.

ثم المبحث الأول وهو بعنوان: الصور البلاغية في البيان عن المتقين وجزائهم.

المبحث الثاني: الصور البلاغية في الحديث عن المشركين وعنادهم.

المبحث الثالث: الصور البلاغية في الحديث عن قطع حجج المشركين وبيان وظيفة الرسل عليهم السلام.

المبحث الرابع: الصور البلاغية في الحديث عن إنكار المشركين للبعث.

المبحث الخامس: الصور البلاغية في الحديث عن جزاء المؤمنين الصادقين.

المبحث السادس: الصور البلاغية في الحديث عن بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل.

المبحث السابع: الصور البلاغية في الحديث عن سوء عاقبة الكافرين.

المبحث الثامن: الصور البلاغية في الحديث عن انقياد الخلق لله تعالى.

ثم الخاتمة وضمنتها أهم نتائج البحث، ويليها ثبت بالمصادر والمراجع التي استقي منها البحث مادته العلمية، وفهرست بمباحثه وموضوعاته؛

وبعد: فهذا بحثي أضعه بين يدي قارئيه الكرام، أحمل فيه غاية ما جناه عقلي، وجال فيه فكري، عشت فيه في دوحة مباركة من سورة النحل، وعايشت فيه ما يربو على الثمانين تفسيرا لكتاب الله الكريم، أستخلص من أقوالهم، وأقف عند تحريراتهم وتدقيقاتهم، وأستخرج الصور البلاغية من

صريح عباراتهم، وخفي إشاراتهم، وكلي عجز وتقصير، ولكني أحاول مقاربة الصواب، راجيا بذلك وجه ربي الكريم –من له الكمال وحده– فإذا لقي بحثي هذا قبولا واستحسانا، فمن الله تعالى وحده، بحوله وقوته، لا بحولي وقوتي، وإن كانت الأخري، فحسبي أنني بشر، والنقص مستول على جملة البشر، وأضع بين يدي الناظر في هذا البحث بيتا جميلا ختم به الإمام الحريري ملحة الإعراب حين قال:

**وإن تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا**[1]

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

**الباحث**

**محمود خليفة محمود حفناوي**

**أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في**

**كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للوافدين بالقاهرة**

[1] – انظر ملحة الإعراب وسنخة الإعراب للإمام جمال الدين أبي محمد القاسم بن علي الحريري بهامش تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب للإمام محمد بن محمد عمر بحرق الحضرمي، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص٩٨.

## التمهيد

قبل أن نخوض في غمار هذا البحث البلاغي، الذي يتناول آيات كريمة من كتاب الله تعالى، يبرز ما فيها من صور بلاغية، يجدر أن نقف على تعريف الصورة في اللغة والاصطلاح، وتتمات لذلك، وعلى تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح، وتتمات لذلك.

### أولا: تعريف الصورة في اللغة والاصطلاح

### تعريف الصورة لغة

يدور معنى الصورة في كلام اللغويين على الشكل الظاهر، وعلى حقيقة الشيء، وعلى صفة الشيء، وعلى هيئته، قال الخليل بن أحمد: صورت صورة، وتجمع على صُوَر، وصُوُر لغة فيه.[١]

وقال الأزهري: المصور من صفات الله تعالى لتصويره صور الخلق، ورجل مصوَّر إذا كان معتدل الصورة، ورجل صير حسن الصورة والهيئة.[٢]

قال ابن فارس: الصورة صورة كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خلقته.[٣]

---

[١] – العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥، تحقيق د.مهدي المخزومي –د. إبراهيم السامرائي بدون ١٤٩/٧، مادة صور.

[٢] – تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ت٣٧٠هـ ،تحقيق أحمد عبد العليم البردوني –أ. علي محمد البجاوي، طبعة الدار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، ٢٢٧/١٢ مادة صار.

[٣] – معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر العربي بيروت ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م، مادة صور ٣٢٠/٣.

وفي المعجم الوجيز: الصورة: الشكل، وصورة المسألة أو الأمر صفتها، والنوع، يقال: هذا الأمر على ثلاث صور، والصورة الذهنية الماهية المجردة.[١]

وقال الرازي في مختار الصحاح: تصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي.[٢]

قال ابن منظور: الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء، وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته،[٣] وإلى هذا أشار الإمام الزبيدي في تاج العروس.[٤]

**تعريف الصورة في الاصطلاح**

قال الدكتور علي صبح: اختلف النقاد في تحديد معنى الصورة الأدبية قديما وحديثا، وإن وصلوا في النهاية من طريق تحليلها إلى مظاهر الجمال فيها،

---

[١] – المعجم الوجيز طبعة وزارة التربية والتعليم المصرية ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م ص٣٧٣.

[٢] – مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي طبعة مكتبة لبنان ١٩٩٣م ص١٥٦ مادة صور.

[٣] – لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت٧١١هـ، تحقيق عبد الله علي الكبير –محمد أحمد حسب الله –هاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف بدون، ٢٥٢٣/٤ مادة صور.

[٤] – تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة عبد الفتاح أحمد فراج، طبعة مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م، ٣٥٧/١٢ مادة صور.

وإلى أثرها في النفس، فكان ذلك الجهد هو أكثر وفاء لنيل الصورة، وأعظم تقديرا لسموها، وأوضح لسر خلودها.[١]

ففي المرحلة الأولى من ظهور الصورة في التاريخ الأدبي أطلق عليها العلماء مصطلح "التصوير"، مثل الجاحظ في كتابه الحيوان قال: والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير.[٢]

ونهج هذا النهج الإمام الرماني في نكته فقال: والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس، لما يرد عليها من حسن الصورة، وطريق الدلالة، ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحروف، وقراءته في أقبح ما يكون من الحرف والخط، فذلك متفاوت في الصورة، وإن كانت المعاني واحدة.[٣]

---

[١] – الصورة الأدبية تاريخ ونقد للدكتور علي علي صبح دار إحياء الكتب العربية بدون، ص١٤٩.

[٢] – الحيوان للإمام أبي عثمان عمرو بن عمر الجاحظ ت٢٥٥هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢ ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م، ٣/١٣١.

[٣] – النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ت٣٨٦هـ، طبع ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، طبعة دار المعارف بمصر، ط٣، ص٩٦.

وقال: وليست البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان: أحدهما بليغ، والآخر عيي، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يتحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره، ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.[١]

ثم جاءت المرحلة الثانية لهذا المصطلح وهي عصر الإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث انتقل بمصطلح الصورة من التصوير إلى إطلاقها على اجتماع الألفاظ والمعاني، وارتباطها بسياق الكلام ونظمه، فجمال الصورة عند الإمام عبد القاهر لا يقاس بجمال اللفظ مع المعنى فقط، بل بارتباطها بسياق الكلام ونظمه، وانتظام الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية في الصورة، كذا احتوائها على الأصباغ البديعة من طباق وتجنيس وسجع وغير ذلك، فقد توسع رحمه الله وأدخل في الصورة البلاغية سائر ألوان البلاغة .

قال في أسرار البلاغة: ومن البين الجلي أن التباين في هذه الفضيلة، والتباعد عنها ليس بمجرد اللفظ، والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب.[٢]

ثم انتقلت الصورة إلى مرحلة ثالثة هي مرحلة الشيوع لهذا المصطلح في الدراسات الحديثة، على أساس اشتقاقه من المعنى اللغوي الشكل والهيئة.

---

[١] – المرجع السابق ص٧٦.

[٢] – أسرار البلاغة للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت٤٧٤هـ، تقديم وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، طبعة دار المدني بجدة ط١، ١٤١٢هـ= ١٩٩١م ص٤.

ومنهم من يتجه بالصورة اتجاها آخر، فهي عنده الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة، مستخدما طاقات اللغة، وإمكاناتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة، وغير ذلك من وسائل التعبير الفني. [١]

أو هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر – أعني خواطره ومشاعره وعواطفه– المطلق من عالم المحسات، ليكشف عن حقيقة المشهد، أو المعنى في إطار قوي تام محس مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين. [٢]

وعلى هذا ففي الصورة الأدبية أصدق تعبير عما يجول في النفس، من خواطر وأحاسيس، وأدق وسيلة تنقل ما فيها إلى الغير بأمانة وقوة، وأجود موصل إلى الآخرين في سرعة وإيجاز ووفرة، والصورة أجمل وأنضر طريقة في شد العقل إليها، وربط الإحساس بها، وتجاوب المشاعر لها، وإحياء العاطفة، وسحر النفس. [٣]

**قيمة الصورة**

تتجلى قيمة الصورة في الاستحواذ على قلوب السامعين، والتأثير البليغ عليهم، واستمالة عقولهم من قوة برهانها، فهي إن لامست شغاف قلوب

---

[١] – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر لعبد القادر القط، طبعة دار النهضة العربية، ط٢ ١٩٨١م، ص٣٩١.

[٢] – الصور الأدبية تاريخ ونقد، ص١٤٩.

[٣] – المرجع السابق ص١٧٢.

المتلقين، وخالطت أفئدتهم لما لها من سحر البيان، وسرعة التأثير، وإقناع عقل السامع، وإمتاع عاطفته ووجدانه، فهي إلى الإيمان والتصديق بها أدعى، وفي الدعوة لها أقنع وأسرع، وفي هذا الميدان يطالعنا شيخ البلغاء الإمام عبد القاهر الجرجاني، فيرينا بعضا من قيمة الصورة، فيذكر أن الاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعهم، والتخيلات التي تهز الممدوحين وتحركهم، وتفعل بهم فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير، التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش، أو بالنحت والنقر، فكما أن تلك تعجب وتروق، وتدخل النفس من مشاهدتها حالة من الفرحة والنشوة لم تكن قبل رؤيتها. [١]

**ثانيا: تعريف البلاغة لغة واصطلاحا**

وبعد أن أمطنا اللثام عن معنى الصورة في اللغة والاصطلاح، يجدر أن نقف مع معنى البلاغة لغة واصطلاحا، كعلم جليل من العلوم التي تخدم كتاب الله تعالى، وتجليّ معانيه، وتبرز جوانب إعجازه.

**أولا: تعريف البلاغة في اللغة**

قال الإمام الرازي: بلغ المكان وصل إليه، وكذا إذا شارف عليه، ومنه قوله تعالى: "فإذا بلغن أجلهن" [البقرة: ٢٣٤] أي قاربنه، وبلغ الغلام أدرك، وبابه دخل، والإبلاغ والتبليغ الإيصال، والاسم منه البلاغ، وشيء بالغ أي جيد، والبلاغة الفصاحة، وبلغ الرجل صار بليغا، وبابه ظرف. [٢]

---

[١] – أسرار البلاغة ص٣٤٣.

[٢] – مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة مكتبة لبنان، ط٢ ١٩٩٣، ص٢٦، مادة بلغ.

وقال الإمام الزمخشري: بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وهذا قول بليغ، وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة وليس من أهلها، وما هو ببليغ ولكنه يتبالغ.[١]

فعناصر البلاغة إذا لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب، على حسب مواطن الكلام، ومواقعه، وموضوعاته، وحال السامعين، والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم.[٢]

**ثانيا: تعريف البلاغة في الاصطلاح**

أما عن تعريف البلاغة في اصطلاح علماء الفن من البلاغيين، فقد اختلفت عباراتهم حولها، فكل أدى بما بان له من وجهها، ولكن تعريفاتهم تدور كلها في فلك واحد.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل ،وقيل لآخر :ما البلاغة؟ قال: إيجاز الكلام، وحذف

---

[١] – أساس البلاغة لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ت٥٣٨هـ، تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م، ٧٥/١، مادة بلغ.

[٢] – البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع تأليف على الجارم ومصطفى أمين، طبعة دار قباء الحديثة ٢٠١١م، ص١٥.

الفضول، وتقريب البعيد، وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال: أن لا يؤتى القائل من سوء فهم السامع، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل.[١]

وقال الإمام السكاكي في تعريفها: البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها.[٢]

وقال الإمام بهاء الدين العاملي في الكشكول: قال بعض الكبار: البلاغة أداء المعنى بكماله في أحسن صورة من اللفظ.[٣]

ولعل هذا التفاوت في التعريفات من البلاغيين –على حد قول القائل– أنهم لم يكونوا يقصدون التعريف بالحد أو الرسم، وإنما كانوا يقصدون ذكر أوصاف البلاغة، والتنويه ببعض ما يستحق التنويه من نواحيها.[٤]

والذي تميل إليه النفس ويطمئن إليه القلب في تعريف البلاغة هو ما كتبه العلامة الخطيب القزويني في التلخيص، ونقله الإمام السيوطي في كتابه

---

[١] – العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ترتيب وشرح أحمد أمين أحمد الزين –إبراهيم الإبياري، تقديم د.عبد الحكيم راضي، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٤م، ٢/٢٦٠.

[٢] – مفتاح العلوم ص٤١٥.

[٣] – الكشكول لبهاء الدين العاملي ت٩٥٣هـ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٨م، ص٢٢٢.

[٤] – البلاغة العالية علم المعاني للعلامة عبد المتعال الصعيدي، تقديم د.عبد القادر حسين، طبعة مكتبة الآداب، ط٢، ١٤١١هـ= ١٩٩١م ص٤.

شرح عقود الجمان في المعاني والبيان،[1] حيث قال الخطيب: البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوته، فمقام كل من التنكير والإطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدمها، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب.[2]

**شرح التعريف**

يقول العلامة الشيخ عبد المتعال الصعيدي في شرح هذا التعريف: والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال بشرط فصاحته، فلابد عند الخطيب في الكلام البليغ من أن يكون فصيحا، والحال هو الأمر الذي يقتضي أن يؤتى بالكلام على صفة مخصوصة مناسبة له، من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك، ويسمى الحال المقام أيضا، وتسمى تلك الصفات: خصائص ومزايا ونكات، وقد قال الخطيب: إن تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالنظم، وهو عنده عبارة

---

[1] – شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٨هـ= ١٩٣٩م، ص٦.

[2] – التلخيص في علوم البلاغة للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ضبط وشرح أ.عبد الرحمن البرقوقي، طبعة دار الفكر العربي ١٩٠٤م، ص٣٣.

عن تآخي معاني النحو فيما بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.[١]

هذا وكما يوصف الكلام بالبلاغة، يوصف المتكلم بها أيضا، فهي في المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، فعلم أن كل بليغ فصيح، ولا عكس، وأن البلاغة مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وإلى تمييز الفصيح من غيره.[٢]

**أقسام علم البلاغة**

قسم البلاغيون علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام، كل منها يبحث في جانب من جوانب الكلام:

١- علم المعاني: وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، وينحصر في ثمانية أبواب: أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.[٣]

---

[١] – انظر البلاغة العالية علم المعاني للشيخ عبد المتعال الصعيدي ص٢٧، دلائل الإعجاز للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت٤٧١هـ، تعليق محمود محمد شاكر، طبعة الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠م، ص٥١.

[٢] – التلخيص في علوم البلاغة ص٣٦.

[٣] – انظر التلخيص ص٣٨، حلية اللب المصون على الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع للشيخ عبد الرحمن الأخضري، والحلية للشيخ أحمد الدمنهوري، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٧هـ= ١٩٣٨م، ص٣١.

٢- علم البيان: وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وأبوابه التشبيه، والاستعارة، والكناية.[١]

٣- علم البديع: وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، أي تصور معانيها، وتعلم أعدادها، وتفاصيلها، بحسب الطاقة بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة، وهذه المحسنات ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، ومنه المطابقة والمشاكلة والتورية واللف والنشر وغيرها، وضرب يرجع إلى اللفظ، ومنه الجناس والسجع والاقتباس وغيرها.[٢]

**وخلاصة القول وحمادا**

أنني -بعون الله تعالى- في بحثي هذا أُعنى بالصورة البلاغية، وهي تلكم الأوجه والأشكال البلاغية الواردة في هذا الربع الكريم من سورة النحل، من تشبيه، واستعارة، وكناية، وفصل، ووصل، وجناس، وطباق، وغير ذلك، مما ورد في هذه الآيات المباركة من ألوان تنتمي إلى علوم البلاغة الثلاثة، المعاني والبيان والبديع، كما أعتني بالأسرار البلاغية

---

[١] - الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للإمام أبي عبد الله جلال الدين محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، بدون ص٢١٥، شرح عقود الجمان للسيوطي ص٧٧.

[٢] - الإيضاح للقزويني ص٣٤٨، شرح عقود الجمان للسيوطي ص١٠٤، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق د. يوسف الصميلي، طبعة المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م، ص٢٩٨، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع تأليف أحمد مصطفى المراغي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م، ص٣١٨.

في التعبيرات القرآنية، حسب وسعي وطاقتي، مع مراعاة المنهج الذي سطرته في مقدمة بحثي هذا، والله أسأل أن يكون خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الله المعبود.

**الباحث**

## المبحث الأول: الصور البلاغية في البيان عن المتقين وجزائهم

**الصور البلاغية في الآية الثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: ﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما تم الخبر عن المنكر لما أنزل الله على ألسنة الملائكة من الروح من أمره على الأنبياء عليهم السلام، إنكارا لفضلهم، وتكبرا بما ليس لهم بالاعتراض على خالقهم، ابتدأ الخبر على المقرين تصديقا لهداتهم، واعترافا لفضلهم، وتسليما لمن هم عبيده في تفضيل من يشاء، منبها على الوصف الذي أوجب لهم الاعتراف بالحق، حاذفا لإذا دلالة على الرضا بأيسر شيء من الخير، والمدح عليه ولولم يتكرر، ﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ... ﴾ أي خافوا عقاب الله ﴿مَاذَا﴾ أي أي شيء أنزل ربكم، أي المحسن إليكم من روحه، المحي للأرواح على رسوله، قالوا معترفين بالإنزال غير متوقفين في المقال، فبعد أن بين الله سبحانه أقوال المستكبرين وأحوالهم وسوء عاقبتهم[١]، أتبع ذلك ببيان أحوال المتقين وبيان ما أعده لهم من خيرات،[٢] وبهذا يظهر التناسق

---

[١] – وذلك في قول الله تعالى من نفس السورة ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطير الأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ومِنْ أَوْزَارِ الَذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله تعالى: فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٤–٢٩]

[٢] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر أبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ت٨٨٥هـ، طبعة دار الكتاب ==

العجيب والتناسب الغريب، والتشابك البديع، بين آيات القرآن الكريم التي تسلمك الآية منها إلى التي تليها، والسورة إلى أختها، بجودة ربط، وحسن سبك، فسبحان من هذا كلامه.

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

**الصورة الأولى: المقابلة**

في مستهل الحديث عن الصور البلاغية في هذه الآية الكريمة، تأتي المقابلة التي هي من عادة القرآن الكريم في إظهار المعاني، عندما يقابل الله تعالى بين ما أعده للمؤمنين وما أعده للكافرين، أو بين أوصاف الجنة وأوصاف النار، أو غير ذلك من صور المقابلة.[1]

وفي توضيح هذه الصورة قال ابن جزي الكلبي: لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين، قابل ذلك بمقالة المؤمنين.[2]

وقال الطاهر بن عاشور: لما افتتحت صفة سيئات الكافرين وعواقبها بأنهم إذا قيل لهم ( مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) [النحل: ٢٤] جاءت هنا

==

الإسلامي بالقاهرة، بدون ١٤٦/١١، التفسير الوسيط للقرآن الكريم للشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق، طبعة دار المعارف، بدون ١٣٨/٨.

[1] – المقابلة كما عرفها البلاغيون: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب التلخيص في علوم البلاغة ص٣٥٢.

[2] – التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ الإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ت٧١٤هـ، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، طبعة دار الكتب العلمية، ط١ ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م، ٤٦٢/١.

مقابلة حالهم بحال حسنات المؤمنين وحسن عواقبها، فافتتح ذلك بمقابل ما افتتحت به قصة الكافرين، فجاء التنظير بين القصتين في أبدع نظم.[١]

وقد جنح إلى تفصيل هذه الصورة البلاغية البديعة الشيخ أبو زهرة في زهرة التفاسير حيث قال: هذه مقابلة بين الإيمان والتقوى، والكفر والاستكبار، قيل للمتكبرين: ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين، ولنتل الآية السابقة (وإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) [النحل: ٢٤] وسئل هذا السؤال نفسه للمتقين (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً) وهذا فرق بين التقوى والفجور، الفاجر لا يهمه أن يقول الحق أو يفحصه، والمتقي الطيب محب للحق ويتحراه، فإن وجده اطمأن إليه، واستقام على طريقة.[٢]

وإلى هذا المعنى البديع أشار جل المفسرين[٣]؛ فارقب معي الربط القرآني البديع، والتناسب العجيب بين آيات القرآن الكريم، والذي يبهرك نظمه لأنه راق في مسلكه، وسمته، متسق غاية الاتساق، لترى حسن ما أعده الله للمؤمنين الصالحين، في مقابل سوء ما أعده للكافرين الظالمين.

---

[١] – التحرير والتنوير للإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م، ١٤١/١٤.

[٢] – زهرة التفاسير للإمام الشيخ محمد محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، بدون، ٤١٦٦/٨.

[٣] – انظر تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ، تحقيق مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، طبعة مؤسسة قرطبة، ط١ ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م، ٣٠٧/٨، تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي، طبعة أخبار اليوم، بدون ٧٨٨٩/١٣، في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، طبعة دار الشروق ط١٢، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م، ٢١٦٩/٤.

**الصورة الثانية: جمال الربط بالواو الماثل في قول الله تعالى: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) [النحل: ٣٠]**

هذه صورة بديعة من صور البلاغة في القرآن الكريم، وهي جمال وصل الجمل بعضها مع بعض، والذي هو سنن القرآن الكريم فيما إذا اقتضى الحال لذلك، مما يصور لك الالتئام والتلاحم بين آيات الكتاب العزيز، فكل آية فيه آخذه بحجز الآية التي تليها، فكله وحدة واحدة، يحوي التناسب العجيب، والربط المحكم.

وهذا الذي نحن بصدده في هذه الصورة يسمى عند البلاغيين بالوصل.[١]

وقد وقع الوصل بين هاتين الجملتين، جملة (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) [النحل: ٣٠] على قوله تعالى: (وإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ...) [النحل: ٢٤] لما بينهما من تقابل إذ الأولى في وصف حال الكفار، والثانية في وصف حال المؤمنين، لذا عطف بينهما بالواو وهو ما يسمى بالتوسط بين الكمالين، كمال الاتصال وكمال الانقطاع.[٢]

قال الشيخ عبد المتعال الصعيدي: وقد تخفي المناسبة بين الجملتين الموصولتين –كعطف ما يتعلق بالمؤمنين على ما يتعلق بالكفار– ومن هذا

---

[١] – وهو عطف جملة على جملة أخرى بالواو، وعكسه الفصل وهو ترك هذا العطف، وهو باب عظيم من أبواب البلاغة، دقيق المأخذ، صعب المسلك، حتى عرف بعض العلماء البلاغة به فقالوا: البلاغة معرفة الوصل والفصل. شرح عقود الجمان للسيوطي ص٥٨، البلاغة الواضحة ص٣٨٤، جواهر البلاغة للهاشمي ص١٨١.

[٢] – وهو اتفاق الجملتين في الخبر والإنشاء مع وجود جامع بينهما يصحح العطف مع عدم المانع. علوم البلاغة للمراغي ص.١٦٤

ما يسمونه عطف القصة على القصة، أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام قبله، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين، وإن اختلفتا في الخبرية والإنشائية ونحوهما.[١]

قلت: وهذه الصورة من هذا القبيل حيث عطف مضمون الكلام مع المؤمنين على مضمون الكلام مع الكافرين، لإظهار المضادة بينهما، ولتنفير الكفار من حالهم، وتيقين المؤمنين من فعلهم، فتأمل.

**الصورة الثالثة: الإيجاز بالحذف**

في هذه الآية أيضا من ألوان البلاغة، جمال الحذف الذي ورد في قوله تعالى: (مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً) [النحل: ٣٠]، وكان السياق يقتضي أن يقال: قالوا أنزل خيرا، ولكن لأن المقام مقام امتثال، وإظهار للخضوع والاستسلام لله تعالى، سارع المتقون إلى الجواب، فكأن المقام قد ضاق من ذكر كلمة أنزل على حد قول موسى عليه السلام: (وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) [طه: ٨٤]، وإلى هذا يشير الإمام الصابوني بقوله: تضمنت الآية الكريمة من وجوه البيان والبديع الإيجاز بالحذف (قَالُوا خَيْراً) أي قالوا: أنزل خيرًا.[٢]

---

[١]- البلاغة العالية علم المعاني للدكتور عبد المتعال الصعيدي، ص١٠٩.

[٢] - صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني، طبعة دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤ ١٤٠٢هـ= ١٩٨١م ،١٢٩/٢.

وقال الشيخ محمد سيد طنطاوي: وكلمة خيرًا مفعول لفعل محذوف أي: أنزل خيرًا، أي: رحمة وبركة ونورا وهداية، إذ لفظ خيرًا من الألفاظ الجامعة لكل فضيلة.[١]

والحذف هنا[٢] في هذه الآية الكريمة بلاغة سامقة، لا تدانيها بلاغة، وروعة تظهر مراعاة القرآن الكريم لمقتضيات الأحوال في نظم آياته وسوره، وإن للحذف في قلوب البلغاء لشأن عجيب، حدث عنه شيخ البلغاء دون منازع الإمام عبد القاهر الجرجاني في قوله: هو باب لطيف المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون إذ لم تبن.[٣]

فتأمل الآية الكريمة وانظر إلى موقعها في نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضوع الحذف منها، لتعلم أن هذا الحذف قد وقع منها موقعا، فهو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد.

**الصورة الرابعة: الفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد للتنويع في العبارة**

هذه صورة بلاغية من صور القرآن الكريم، التي لم ينسج على منوالها، ولا سمحت قريحة بمثالها، وهي في القرآن الكريم في الكثير من المواضع، حيث يقع التنويع في العبارة لكي يمس شغاف القلوب بالحقائق الراسخة، كمثل قول

---

١ – التفسير الوسيط ١٣٩/٨.

٢ – يسمى هذا الأسلوب عند البلاغيين الإيجاز بالحذف، ويكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم مع قرينة تعين المحذوف . جواهر البلاغة ص١٩٩.

٣ – دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص١٤٦.

الله تعالى: (وجَعَلَ كَلِمَةَ الَذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا) [التوبة: ٤٠] بنصب الكلمة في الموضع الأول، ورفعها في الثاني، للدلالة برفعها على الثبوت والتجذر، وهكذا في هذا الموضع قال الإمام الزمخشري في بيان هذه الصورة العجيبة في هذه الآية الكريمة، فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول، قلت: فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد، يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للإنزال، فقالوا: (خَيْراً) أي: أنزل خيرًا، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء.[١]

ووقع تفصيل لهذه الصورة بأوضح مما قال الزمخشري عند الإمام أبي السعود قال: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) أي المؤمنين، ووصفوا بالتقوى إشعارا بأن ما يصدر عنهم من الجواب ناشيء عن التقوى، (مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً) سلكوا في الجواب مسلك السؤال، من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى أي: أنزل خيرًا، فإن الجواب مطابق للسؤال، وسبكا للواقع في نفس الأمر مضمونا، وأما الكفرة فإنهم – خذلهم الله تعالى– كما غيروا الجواب عن نهج الواقع الذي ليس له من دافع، غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الأساطير، روما لما مر من إنكار الإنزال.[٢]

فانظر إلى بديع قول الله تعالى لترى أن ألفاظه نادرة الوجود، ومعانيه مستوفية للمقصود.

---

[١] – الكشاف للزمخشري٣/٤٣٣.

[٢] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ت٩٨٢هـ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، طبعة مطبعة السعادة، بدون ٣/٣٥٦.

**الصورة الخامسة: السؤال والجواب**

هذا لون بديع من ألوان القرآن الكريم وهو ما يسمى عند علماء البيان بالسؤال والجواب.[1]

قلت: وفي هذه الآية الكريمة من هذا اللون شيء، حيث افتتحت بالفعل المبني للمجهول (قِيلَ) وكان الجواب على هذا السؤال بقوله تعالى: (قَالُوا) وهو لون جليل، يظهر تسلسل القرآن الكريم وتحدره، فهو سهل المساق، عذب المذاق، حسن الاتساق، متحدر في الأسماع كتحدر الماء من السماء؛ فسبحان من هذا كلامه.

**الصورة السادسة: الإظهار في موضع الإضمار**

جاء التعبير القرآني هنا (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) بعد قوله تعالى: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً) مع أن مقتضى الكلام أن تكون الجملة القرآنية "أنزل خيرا لهم في هذه الدنيا حسنة "بإضمار لهم بدلا من الاسم الموصول، ولكن روعة القرآن الكريم وبلاغته، آثرت أن يقع هذا الإظهار في موضع الإضمار، فبدلا من أن يقول الله: لهم في هذه الدنيا حسنة آثر أن يقول: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) جلبا للصفة التي

---

[1] – وهو أن يحكي كلاما ب"قال" ثم يجيبه ب"قال" أيضا، وهو في القرآن العظيم كثير، من ذلك قوله تعالى: (وإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً) إلى قوله تعالى: (فَذَبَحُوهَا ومَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) [البقرة: ٦٧: ٧١]، قال علماء البيان: أحسن هذا النوع ما كثرت فيه القلقلة. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان للإمام العالم أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزي ت٧٥١هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، بدون ص١٦٩.

استوجبت هذا العطاء الإلهي؛ وإلى هذا المعنى أشار الإمام البقاعي بقوله: ثم أخذ يرغب بما لهم من حسن المآل على وجه الجواب لسؤال من كأنه قال: ما لهم على ذلك؛ فقيل مظهرا في موضع الإضمار، مدحا لهم وتعميما لمن اتصف بوصفهم: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا)، فبين أن اعترافهم بذلك إحسان، (فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) أي جزاء لهم على إحسانهم، (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ) [الرحمن: ٦٠].[١]

قال الطاهر بن عاشور: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا) فهو من الإظهار في مقام الإضمار، توصلا بالإتيان بالموصول إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر، أي جزاؤهم حسنة لأنهم أحسنوا.[٢]

قلت: ثم إن هذا اللون من البلاغة يجنح إليه خروجا عن مقتضى الظاهر، لنكات بلاغية، ودواع تستدعيه، كان منها هنا الإشعار بكمال العناية بما استخدم للدلالة عليه الاسم الظاهر بدل الضمير من أجل اختصاصه بحكم غريب كما يشير البلاغيون.[٣] فتأمل.

---

[١] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٤٦/١١.

[٢] – التحرير والتنوير ١٤٢/١٤.

[٣] – البلاغة العربية أسسها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، تأليف عبد الرحمن حبنكه الميداني، طبعة دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م ص٥٠٣/١، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي ص٢٦، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إعداد د. إنعام فوال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ط٢ ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م ص٥٦١.

**الصورة السابعة: الجناس المغاير بين قوله تعالى: (أَحْسَنُوا) و(حَسَنَةٌ) وبين قوله تعالى: (اتَّقَوْا) و(المُتَّقِينَ) [النحل: ٣٠]**

وقع في هذه الآية الكريمة لون جليل من ألوان علم البديع، وهو الجناس المغاير.[١]

وقد وقع هذا المحسن البديع الجليل في هذا النص المبارك في موضعين بين قوله تعالى: (أَحْسَنُوا) و(حَسَنَةٌ)، وبين قوله تعالى: (اتَّقَوْا) و(المُتَّقِينَ)، وفي هذا من تحلية للآذان، واسترعاء للأسماع ما يبعث على التفكر في المسموع والاهتمام بشأنه.

قال صاحب حدائق الروح والريحان: وقد اشتملت هذه الآية ضروبا من البلاغة، وأنواعا من الفصاحة، والبيان، والبديع، منها الجناس المغاير بين

---

[١] – الجناس لغة: المشاكلة والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جانسه إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جنسه، وجنس الشيء أصله الذي اشتق منه، واتحد معه في صفاته العظمى التي تقوم ذاته، وفي اصطلاح علماء البلاغة: أن يتشابه اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى، وهو لون بديع من المحسنات اللفظية، يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه، لأن النفوس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع من الاستغراب، ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، ووارى مصنوعه مطبوعه، مع مراعاة النظير، وهو قسمان: تام، وغير تام، الأول: ما اتفق فيه اللفظان في هيئة الحروف، وعددها، ونوعها، وترتيبها، وغير التام أو المغاير: ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأربعة المتقدمة، وتحت كل نوع من النوعين أقسام تطلب من كتب البلاغة. جواهر البلاغة ٣٢٥، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٤٨٥/٢، علوم البلاغة للهاشمي ص٣٥٤.

(أَحْسَنُوا) و(حَسَنَةٌ) في قوله: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) [النحل: ٣٠]، ومنها الجناس أيضا بين (اتَّقَوْا) و(المُتَّقِينَ) في هذه الآية.[١]

**الصورة الثامنة: الإيجاز بالحذف (حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه)**

في هذه الآية أيضا غير ما تقدم من الصور، جمال الحذف الوارد في قوله تعالى: (ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ)، وكان السياق يقتضي أن يقال: "ولدار الساعة الآخرة خير" ولكن جاء الإيجاز بالحذف هنا للون ممن ألوان البلاغة العالية، وهو الإيجاز في حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه.

قال الإمام الزجاج: وهو جائز حسن في العربية من جملة الفصاحة والبلاغة، وقد ذكره سيبويه في غير موضع من كتابه وما جاء في التنزيل من قوله: (ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) [النحل: ٣٠] فهو على تقدير ولدار الساعة الآخرة، فتكون الآخرة صفة للساعة المضمرة، وليست الدار مضافة إلى الآخرة، لأن الشيء لا يضاف إلى صفته، كما لا يضاف إلى نفسه، وعلى هذا مسجد الجامع، أي الوقت الجامع، وصلاة الأولى، أي صلاة الساعة الأولى، ودين القيمة، أي دين الملة القيمة، فمن قال بخلاف ذلك فقد أخطأ.[٢]

---

[١] – حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن تأليف العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، مراجعة د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، طبعة دار طوق النجاة بيروت، ط١ ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م، ١٥/٢٣٠.

[٢] – إعراب القرآن للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج ت٣١١هـ ،تحقيق إبراهيم الإبياري، طبعة دار الكتب الإسلامية –دار الكتاب المصري– دار الكتاب اللبناني ٢٨٦/١ باختصار يسير، معاني القرآن للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري ==

ثم إن هذا النوع من الحذف يسمى عند البلاغيين بالاختزال، وهو يشمل حذف الاسم والفعل والحرف، وحذف جملة أو عدة جمل، وحذف كلام طويل في قصة ذات أحداث كثيرة، وقد تتبع البلاغيون أمثلته فوجدوا أن منه النوع السابق، وهو حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه.[١]

**الصورة التاسعة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ)**

صورة أخرى من الصور البلاغية الواردة في الآية الكريمة، تنتمي إلى شجاعة العربية على حد تعبير العلامة الكبير أبي الفتح ابن جني في كتاب الخصائص، عندما عنون للحذف بقوله: باب في شجاعة العربية.[٢]

وقعت هذه الصورة في قول الله تعالى: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) حيث حذف المخصوص بالمدح هنا لتقدم الإشارة إليه بقوله تعالى: (ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) وكان الحال يقتضي أن يقال: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) دار الآخرة، ولكن لمقتضى الإيجاز حذفت هذه الجملة، لأن البلاغة الإيجاز، ومعلوم أن القرآن الكريم بلغ الغاية فيه.

قال البقاعي: حذف المخصوص بالمدح لتقدم ما يدل عليه، وهو صالح لتقدير الدنيا، أي لمن عمل فيها بالتقوى، ولتقدير الآخرة وهو واضح.[٣]

---

==

المعروف بالزجاج ت٣١١هـ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، طبعة عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م ،١٩٦/٣.

[١] – البلاغة العالية أسسها وعلومها وفنونها ٥٧/٢.

[٢] – الخصائص للإمام أبي الفتح عثمان بن جني ت٣٩٢هـ، تحقيق محمد علي النجار، طبعة المكتبة العلمية ١٩١٣م ،٣٦٠/٢.

[٣] – نظم الدرر للبقاعي ١٤٦/١١.

قلت: ومقصود الإمام البقاعي بقوله: وهو صالح لتقدير الدنيا أي يجوز أن تقدر المحذوف بقولك: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) الدنيا، وذلك لمن عكف فيها على التقوى، ويجوز أن تقدر كلمة الآخرة وهو واضح، إذ فيه اجتناء الثواب وقطف الثمر. فتأمل.

وإلى هذه الصورة البلاغية أشار كثير من المفسرين.[1] والله أعلم.

**الصورة العاشرة: الإظهار في موضع الإضمار**

وقعت هذه الصورة في ختام هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: (ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) وكان السياق يقتضي أن تكون الجملة –لو في غير القرآن– ولدار الآخرة خير ولنعم دارهم، بالإحالة إلى ما ذكر قبل، ولكن القرآن الكريم لابس حلل الجزالة والفصاحة، سالم من الرذالة والفظاعة، لذلكم جاء هذا اللون البلاغي هنا، إذ هذا موضعه أن يقوم الظاهر مقام الضمير، ليشير سبحانه وتعالى إلى الصفة التي استوجبت هذا الجزاء العميم وهي صفة التقوى.

وإلى هذا المعنى يشير الإمام البقاعي بقوله: ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) أي: هي، مرغبا في الوصف الذي كان سبب حيازتهم لها، وهو الخوف المنافي لما وصف به الأشرار من الاستكبار، بإظهاره موضع الإضمار.[2]

---

[1] – مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت٧٠١هـ، على هامش تفسير لباب التأويل للإمام الخازن، طبعة المطبعة البهية بمصر، بدون ١٣٤/٣، التفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوي ١٤٠/٨.

[2] – نظم الدرر للبقاعي ١٤٦/١١.

ويضيف الإمام أبو زهرة إلى هذا المعنى معنى جديدا، وهو حصر الخيرية في هذا الثواب في الآخرة للمتقين، فيقول: وذكر المتقين بالإظهار بدل الإضمار، للإشارة إلى أن التقوى هي السبب في هذا الجزاء، وللدلالة على أن ثواب الآخرة للمتقين دون غيرهم.[1]

**الصورة الحادية عشرة: الطباق بين لفظي (الدُّنيَا) و(الآخِرَة) [النحل: ٣٠]**

من الصور البديعة التي وقعت في هذه الآية الكريمة الطباق الواقع بين لفظي (الدُّنيَا) و(الآخِرَة)،.[2] وهو من الضرب الأول بأن يقابل الشيء بضده من جهة لفظه ومعناه، فالدنيا تقابل الآخرة لفظا ومعنى، فانظر إلى هذا التقابل العجيب بين ضدين هما الدنيا والآخرة، ما أجمل مبناه، وما أحلى معناه.

---

[1] – زهرة التفاسير ٤١٦٦/٨.

[2] – الطباق: أن يؤتى بالشيء وبضده في الكلام كقوله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً ولْيَبْكُوا كَثِيراً) [التوبة: ٨٢] وهو أربعة أضرب، الأول: أن يقابل الشيء بضده من جهة لفظه ومعناه مثل (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ والْبَغْيِ) [النحل: ٩٠].

الثاني: أن يقابل الشيء بضده من جهة مضادة دون لفظه مثل (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ومَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً) [الأنعام: ١٢٥].

الثالث: أن يقابل الشيء بما يخالفه من غير مضاده مثل (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا) [آل عمران: ١٢٠].

الرابع: أن يقابل الشيء بما يماثله مثل (وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى: ٤٠]. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز تأليف يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تقديم د. إبراهيم الخولي، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٩م، ٣٧٧/٢، علوم البلاغة للهاشمي ص٣٢٠.

**الصور البلاغية في الآية الحادية والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ) [النحل: ٣١]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن بين ربنا جل في علاه حال المتقين عند سؤالهم عما أنزله الله تعالى، وقابل حالهم بحال الكافرين، أتبع ذلك بذكر جزائهم، وهو الحسنة الدنيوية التي بوأهم إياها، ثم الدار الآخرة محط غايتهم، لأنهم سيلقون فيها جزاءهم الأبدي، أتبع ذلك أيضا ببيان هذا النعيم وتفضيله، فبدأت الآيات الكريمة تصور هذه الجنان وما أعده الله تعالى لعبادة فيها، فقوله تعالى: (جَنَّاتُ) يدل على القصور والبساتين، وقوله: (عَدْنٍ) يدل على الدوام، وقوله: (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ) يدل على أنه حصل هناك أبنية يرتفعون عليها، والأنهار جارية من تحتهم، " لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ " من كل الخيرات " كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ " أي هذا جزاء المتقين.[١]

**الصور البلاغية في الآية وأثرها في المعنى التفسيري**

احتوت هذه الآية الكريمة على العديد من الصور البلاغية الرائعة منها:

---

[١] – اللباب في علوم الكتاب للإمام أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ت٨٨٠هـ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود –الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق برسالته الجامعية د. محمد سعد رمضان حسن –د. محمد المتولي الدسوقي حرب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م، ٥١/١٢.

**الصورة الأولى: المقابلة في قوله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا)**

سبق أن بينا في الصورة الأولى من الآية السابقة أنه ثمت مقابلة وقعت بين المؤمنين والكفار في مقال كل، كما وقع في الآية السابقة، وفي حال كل، كما في الآية الآتية، وفي جزاء كل كما في هذه الآية الكريمة، حيث بين سبحانه وتعالى جزاء المتقين في الدنيا وفي الآخرة مقابلة ببيان جزاء الكافرين في قوله تعالى (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) [النحل: ٢٩] فما أبدع هذه البلاغة وما أعلاها، وما أجمل قصها وما أحلا بهاها، حيث قابل الله تعالى في هذا الموضع من السورة الكريمة بين ثلاثة أشياء:

الأول: المقابلة بين مقالة الكفار ومقالة المؤمنين

فقال تعالى: (وإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) [النحل: ٢٤] هذا في حال الكفار، وقال في وصف حال المؤمنين: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً) [النحل: ٣٠].

الثاني: المقابلة بين جزاء الكفار وجزاء المؤمنين

فقال في الأول: (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) [النحل: ٢٩]، وقال في جزاء المؤمنين: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ) [النحل: ٣١].

الثالث: المقابلة بين حال الكفار وحال المؤمنين حال الموت

فقال في الأول: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ....) [النحل: ٢٨]، وقال في وصف حال المؤمنين: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ.....) [النحل: ٣٢].

قال الطاهر بن عاشور في بيان هذه الصورة البلاغية الواردة في الآية المعنية بهذا المبحث: وقوله تعالى: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) مقابل قوله تعالى في ضدهم: (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ).[١]

**الصورة الثانية: حذف المسند إليه اتباعا للاستعمال**

وقعت هذه الصورة في قول الله تعالى في مفتتح هذه الآية الكريمة: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ...) والتقدير هي جنات عدن، ولكن حذف المسند إليه هنا اتباعا للاستعمال الوارد.

وقد نبه الإمام السكاكي في كتابه مفتاح العلوم على هذا النوع، فقال: أما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي –وذكر منها الاستعمال الوارد – لأن الاستعمال وارد على تركه، أو ترك نظائره، كقولهم: نعم الرجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام نعم الرجل هو زيد.[٢]

قال الشيخ أحمد مصطفى المراغي: يحذف المسند إليه لأغراض أهمها اتباع الاستعمال الوارد بالحذف، كما في الرفع على المدح.[٣]

قال الإمام الطاهر بن عاشور في توضيح هذه الصورة البلاغية: وارتفع (جَنَّاتُ عَدْنٍ) على أنه خبر لمبتدأ محذوف مما حذف فيه المسند إليه جريا على الاستعمال في مسند إليه جري كلام عليه من قبل، كما تقدم في قوله

---

[١] – التحرير والتنوير ١٤٣/١٤.

[٢] – مفتاح العلوم للسكاكي ص١٧٦.

[٣] – علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ص٩٠.

تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) والتقدير هي جنات عدن، أي دار المتقين جنات عدن.[١]

وقال الزجاج: قوله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) قال: هي مرفوعة بإضمار هي، كأنك لما قلت: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) على جواب السائل أي دار هي هذه الممدوحة؟ فقلت: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا).[٢]

فانظر إلى بلاغة القرآن الكريم العالية، التي ضمنها الله تعالى آيات كتابه، وحملها بالمقامات التي لا يهتدي إليها إلا صاحب العقل السليم، والطبع المستقيم.

**الصورة الثالثة: أسلوب القصر المستفاد من تقديم الظرف في قول الله سبحانه وتعالى: (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ)**

لون آخر من ألوان البلاغة العالية، أودعه الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة، بعد مدح دار المتقين، وبيان أنها جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، أتبع ذلك بأسلوب القصر المستفاد من تقديمه للظرف (لَهُمْ)، ليفيد أن هذا النعيم المقيم لهم لا لغيرهم، وفي هذا من البشر والسرور ما فيه.

هذا وأسلوب القصر من أساليب البلاغة الرائعة.[٣]

---

١ – التحرير والتنوير ١٤/١٤٣.

٢ – معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/١٩٦.

٣ – والقصر لغة الحبس، وفي اصطلاح البلاغيين: تخصيص أمر بأمر بأحد طرق القصر المعروفة، ومنها تقديم ما حقه التأخير، مثل تقديم المعمول على عامله سواء كان مفعولا أو ظرفا أم مجرورا بحرف جر، والمقصور عليه هو المقدم. انظر علوم البلاغة ==

وإلى تصوير هذا الأسلوب البلاغي في الآية الكريمة يشير الفخر الرازي بقوله: قوله: (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) يعني هذه الحالة لا تحصل إلا في الجنة، لأن قوله: (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) يفيد الحصر، وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد ما يريده في الدنيا.[١]

ويضيف الإمام الألوسي في تفسيره معنى جديدا لهذا التقديم، فيقول: وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة، أو لما مر غير مرة من أن تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس إليه، فيتمكن عند وروده فضل تمكن.

وذكر بعضهم أن تقديم (فِيهَا) يفيد الحصر، وما للعموم، بقرينة المقام، فيفيد أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة فتأمله.[٢]

**الصورة الرابعة: التشبيه في قول الله تعالى: (كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ) [النحل: ٣١]**

هذه صورة بديعة من صور البلاغة العالية، تنقل السامع من الغيب إلى الحضور، وتريه الخفي في صورة المنظور، مع ما فيها من الإيجاز الذي هو

==

البيان والمعاني والبديع لأحمد مصطفى المراغي ص١٥٠، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٥٣٧/١.

[١] – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام محمد بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري المتوفى ٦٠٦هـ، طبعة دار الفكر، ط١ ١٤٠١هـ= ١٩٨١م، ٢٥/٢٠.

[٢] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة مفتي بغداد أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت١٢٧٠هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٣٢/١٤.

روح البلاغة، وذروة سنامها، ألا وهي التشبيه الواقع في قول الله تعالى: (كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ) [1].

وفي هذه الآية الكريمة يخرج لنا التشبيه الواقع فيها صورة جزاء المتقين في الآخرة، في صورة مشاهدة، تروح فيها النفس وتجيء.

ولله در عمدة المفسرين الطبري عندما أجرى لنا هذا التشبيه فقال: قوله: (كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ) يقول: كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف الله لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة، كذلك يجزي الله الذين اتقوه، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه[2].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: الصورة الثانية: التشبيه في قوله تعالى: (كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ) أي كهذا الجزاء الذي نراه للذين اتقوا ربهم، يجزي الله

---

[1] – والتشبيه في اللغة كما عرفه علماء البلاغة: التمثيل، وفي الاصطلاح: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، أو هو إلحاق أمر بأمر في أمر مشترك بينهما بأداة. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده للإمام أبي علي الحسن بن رشبق القيرواني ت٤٥٦هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الجيل بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م، ٢٨٦/١، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع لأحمد مصطفى المراغي ص٢١٣.

[2] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ت٣١٠هـ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية بدار هجر، طبعة دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م ، ٢١٢/١٤.

المتقين دائما، وهذا تشبيه أو تصوير لمعنى المكافأة التي يكافئ الله تعالى بها عباده[١].

قال الطاهر بن عاشور: والإتيان باسم الإشارة لتمييز الجزاء، والتنويه به، وجعل الجزاء لتميزه وكماله بحيث يشبه به جزاء المتقين، والتقدير: يجزي الله المتقين جزاء كذلك الجزاء الذي علمتموه[٢]، وإلى هذا المعنى الجليل في الآية مال غيرهم من المفسرين[٣].

الصورة الخامسة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [النحل: ٣١]

وقع في هذه الآية أيضا –غير ما تقدم– الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [النحل: ٣١] وكان السياق يقتضي: تجري من تحت أشجارها الأنهار أو غير ذلك، ولكنها بلاغة القرآن الكريم في الحذف، التي سبق أن أشرت إليها في الصورة الثالثة من المبحث الأول، اقتضت ذلك إيجازا واختصارا، وحتى تذهب النفس في تخيلها مذهبا بعيدا.

قال العز بن عبد السلام: في هذه الآية قوله تعالى: (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [النحل: ٣١] إيجاز بالحذف، والتقدير تجري من تحت غرفها، أو من تحت أشجارها أشربة الأنهار، أو مياه الأنهار[٤].

---

[١] – زهرة التفاسير لأبي زهرة ٤١٦٧/٨.

[٢] – التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٤٣/١٤.

[٣] – الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبد الواحد صالح، طبعة دار الفكر، عمان، ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م ،١٣٩/٦، التفسير الوسيط ١٤٠/٨.

[٤] – الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام أبي محمد عز الدين بن عبد العزيز الشافعي ت٦٦٠هـ، طبعة دار الحديث القاهرة، بدون ص١٦٤.

**الصور البلاغية في الآية الثانية والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: ٣٢]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن بين سبحانه وتعالى جزاء المتقين، من إعداده لهم جنات عدن التي تجري من تحتها الأنهار، وبين أن كل ما يريدونه لا يجدونه إلا فيها، حث سبحانه وتعالى على ملازمة التقوى، بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت، فقال تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ) أي نقبض أرواحهم طاهرين من ظلم أنفسهم بالشرك، متحلين بحلية الإيمان، ( يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ) دار التفكه التي لا مثل لها، (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ترغيبا لهم في الأعمال التي لا يستطيعونها إلا برحمة الله لهم بتوفيقهم لها[1].

الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري

لا يخفى على ذي لب قرأ هذه الآية الكريمة، وتذوق جمالها أنها تحتوي على العديد من صور البلاغة السامقة منها:

**الصورة الأولى: روعة المجاز العقلي المأخوذ من إسناد التوفي في الآية إلى الملائكة في قوله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) [النحل: ٣٢]**

والمجاز العقلي كما هو معروف عند أهل اللغة من الجواز أي التعدي، تقول جزت موضع كذا إذا تعديته، وفي الاصطلاح: إسناد الفعل أو ما في معناه

[1] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٤٨/١١، التفسير الوسيط ١٤٠/٨.

إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم لملابسة مع قرينه صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له، ومنه إسناد الفعل إلى سببه.

وهو ضرب من التوسع في أساليب اللغة، وفن من فنون الإيجاز في القول، ألا ترى أن إسناد الفعل إلى سببه، وجعله الفاعل المؤثر دليل على ما كان لهذا الأثر من شديد الصلة في صدور الفعل، وكأنه هو الذي صدر منه[١].

وفي هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها، أسند الله تعالى فيها التوفي إلى الملائكة، مع أن الفاعل الحقيقي في هذا الأمر هو الله سبحانه وتعالى، وإنما هم سبب لحصول هذا فقط على جهة المجاز العقلي.

قال الشيخ محمد سيد طنطاوي: ولا تعارض بين قوله تعالى: (تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) وبين قوله تعالى في آية أخرى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ) [السجدة: ١١] وبين قوله تعالى في آية ثالثة: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ ....) [الزمر: ٤٢] لأن إسناد التوفي إلى ذاته تعالى باعتبار أن أحدا لا يموت إلا بمشيئته تعالى، وإسناده إلى ملك الموت باعتبار هو المأمور بقبض الأرواح، وإسناده إلى الملائكة باعتبارهم أعوانا له[٢].

فأنت ترى روعة المجاز العقلي في هذه الآية الكريمة عندما أسند إلى الملائكة تنفيذ أمر الله تعالى بقبض روح المتقين، والاحتفاء بهم وتبشيرهم بدرجات السعادة والحبور، عندما يقولون لهم: (سَلامٌ عَلَيْكُمُ) وفي هذا من

---

[١] – علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع لأحمد مصطفى المراغي ص٢٤٨، ٢٩١، ٢٩٧، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص١٢.

[٢] – التفسير الوسيط ١٤١/٨.

البشر والحض على أن يسلك الإنسان مسلك التقوى ما فيه؛ والله أعلم بالصواب.

**الصورة الثانية: المقابلة الواقعة في قول الله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ) [النحل: ٣٢]**

سبق أن أشرت في الصورة الأولى من الآية الأولى، ومن الآية الثانية إلى ما وقع من مقابلة بين حال المؤمنين وحال الكفار، حتى يتبين حسن حال المتقين في مقابل وضوح قبح حال الكافرين، وفي هذه الآية الكريمة تكتمل صورة المقابلة، حيث قابل الله تعالى في هذه الآية بين حال المؤمنين حالة مجيء الملائكة لقبض أرواحهم، وبين حال الكفار في نفس الحالة الذي سبق الحديث عنه في قول الله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ...) [النحل: ٢٨].

قال الإمام القاسمي في توضيح هذه الصورة: ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار في مقابل أولئك، بقوله سبحانه: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ...) أي طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي وكل سوء، (يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي لتدخل أرواحكم الجنة فإنها في نعيم برزخي إلى البعث، أو المراد بشارتهم بأنهم يدخلونها[١].

[١] – محاسن التأويل للإمام محمد جمال الدين القاسمي، تصحيح فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٦هـ= ١٩٥٧م ، ٣٧٩٩.

وقال الإمام البيضاوي: (طَيِّبِينَ) طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم[1].

وإلى هذا المعنى في تصوير هذا اللون البلاغي في هذه الآية جنح كثير من المفسرين كالزمخشري، والنسفي، والرازي، وابن عادل، وابن عجيبة، والطاهر، وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق[2].

**الصورة الثالثة: المجاز بالحذف في قوله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) [النحل: ٣٢]**

وقع في هذه الآية الكريمة المجاز بالحذف، وكان المقام يقتضي: "الذين تتوفى أنفسهم الملائكة"، إذ التوفي يقع على الأرواح والأنفس دون الأجساد، ولكن البلاغة اقتضت هذا الحذف، وجاءت الآية (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) وفي ذلك غير الإيجاز- وكفى به غرضا- بيان بأن الطيب ليس مقصورا على أنفسهم وأرواحهم، وإنما هو شامل لهم، فإنه يملؤهم من مبدأهم إلى منتهاهم، وهو ما يوحي به اللفظ القرآني بعد الحذف (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ) [النحل: ٣١].

---

[1] – تفسير البيضاوي أبي الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي ت٦٩١هـ، طبع مع حاشية الشيخ زادة محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي ت٩٥١هـ، طبعة دار الحقيقة إستنابول ،١٤١١هـ= ١٩٩١م ،١٧٦/٣.

[2] – الكشاف ٤٣٤/٣، مدارك التأويل للنسفي ١٣٤/٣، مفاتيح الغيب ٢٥/٢٠، اللباب في علوم الكتاب ٥٢/١٢، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد للعلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة العيني ت١٢٢٤هـ، تحقيق عمر أحمد الزاوي، طبعة دار الكتب العلمية، ط٣ ٢٠١٠م، ١٩/٤، التحرير والتنوير ١٤٤/١٤.

قال الإمام عز الدين بن عبد السلام في الإشارة إلى هذه الصورة البلاغية: قوله: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ) أي تتوفى أنفسهم الملائكة[1].

**الصورة الرابعة: المبالغة الرائعة في قوله تعالى: (طَيِّبِينَ) [2]**

أورد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة وصفا جليلا المتقين، على جهة المبالغة المحمودة، هو قوله تعالى: (طَيِّبِينَ)، يعنى أن هؤلاء المؤمنين

---

[1] – الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ص١٦٤.

[2] – المبالغة ضرب من ضروب البلاغة العالية، وهي دلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة، أو هي ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حدا مستحيلا أو بعيدا وهي على وجوه منها: المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية لمعنى المبالغة وأبنيتها كثيرة منها فعلان وفعول وفعال ومفعل ومفعال ففعلان كرحمان عدل به عن راحم للمبالغة، الضرب الثاني: المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة كقوله تعالى: (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الأنعام: ١٠٢]، الضرب الثالث: إخراج الكلام مخرج الإضمار عن الأعظم الأكبر للمبالغة كقول القائل جاء الملك إذا جاء جيش عظيم له، الضرب الرابع: إخراج الممكن إلى الممتنع نحو قوله تعالى: (ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ) [الأعراف: ٤٠]، الضرب الخامس: إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج ومن ذلك (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) [سبأ: ٢٤]، الضرب السادس: حذف الأجوبة للمبالغة مثل: (ولَوْ تَرَى إِذْ وقِفُوا عَلَى النَّارِ ) [الأنعام: ٢٧].

وقد جنح العلماء في قبولها إلى ثلاث فرق: ١– القبول مطلقا –٢– الرفض مطلقا –٣– التوسط بين الأمرين فتقبل مع الحسن إذا جرت على منهج الاعتدال وهذا رأي جمهور العلماء ودليل ذلك وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة. انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، طبعة دار المعارف بمصر، ط٣، ١٣٧٦هـ= ١٩٥٦م ص١٠٤، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع لأحمد مصطفى المراغي ص٣٣٦.

الصالحين لما تحقق فيهم إتيان المأمورات، واجتناب المنهيات، والاتصاف بالأخلاق الفاضلة، والبراءة من الأخلاق المذمومة، ناسب أن يوصفوا بهذا الوصف على جهة المبالغة، وإلى هذا المعنى أشار الطاهر بن عاشور بقوله: وهو مبالغة في الاتصاف بالطيب، وهو حسن الرائحة، ويطلق على محاسن الأخلاق، وكمال النفس على جهة المجاز المشهور، فتوصف به المحسوسات، كقوله تعالى: (حَلالاً طَيِّباً) [النحل: ١١٤] والمعاني والنفسيات، كقوله تعالى: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) [الزمر: ٧٣]، ومنه قولهم طبت نفسا، فقوله تعالى هنا: (طَيِّبِينَ) يجمع كل هذه المعاني، أي تتوفاهم الملائكة منزهين من الشرك، مطمئني النفوس، وهذا مقابل قوله في أضدادهم: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) [النحل: ٢٨][1].

فانظر كيف صور القرآن الكريم حال هؤلاء المتقين عند الموت بكلمة واحدة، جمعت بين جنباتها الكثير من المعاني، للدلالة على أنه بلغ الغاية في الإعجاز.

**الصورة الخامسة: المقابلة البديعة في قوله تعالى: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)**

سبق أن صورت لك أيها القارئ الكريم كيف قابل الله تعالى في هذا الموضع من السورة الكريمة بين ثلاث صور، مقالة الكفار مقابلة بمقالة المتقين، وحال الكفار عند الموت بحال المتقين عند الموت، والدار التي أعدها الله تعالى للكفار مقابلة للدار التي أعدها الله للمتقين، سبق ذلك في ثلاث صور

[1] – التحرير والتنوير ١٤/١٤٤.

من هذا البحث[1]، وهذه هي الصورة الرابعة والتي يصلح أن تكون في مضمون الصورة الثالثة، وهي مقابلة دخول الكفار إلى النار في قوله تعالى: (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ....) [النحل: ٢٩] بدخول المؤمنين إلى الجنة في قوله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) [النحل: ٣١].

وهذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها، فيها هذه المقابلة، فهي تصور الأمر الإلهي بدخول المؤمنين إلى الجنة (ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) في مقابل الأمر الإلهي للكفار بدخول النار، في قوله تعالى: (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ...) [النحل: ٢٩].

وإلى هذه الصورة البلاغية أشار الطاهر بن عاشور بقوله: وقولهم: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) هو مقابل قولهم لأضدادهم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) والقول في الأمر بدخول الجنة حين التوفي كالقول في ضده المتقدم آنفا، وهو هنا نعيم المكاشفة[2].

**الصورة السادسة: الأمر الواقع في الآية في قوله تعالى: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: ٣٢]**

هذه صورة أخرى من الصور البلاغية التي انضوت عليها الآية الكريمة، وهي صيغة الأمر [3]، ولكن هذا الأمر في هذه الآية الكريمة خرج عن معناه الموضوع له إلى معنى مجازي، لنكتة بلاغية اقتضتها الآية الكريمة، وهي

---

[1] – سبق في صحيفة من هذا البحث

[2] – التحرير والتنوير ١٤/١٤٤.

[3] – الأمر: هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع للمراغي ص٧٥، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ص٥٥.

إظهار الامتنان من الله تعالى على عباده الصالحين المتقين بإدخالهم الجنة، ففيه من التكريم وإظهار الحفاوة ما لا يستطيع واصف أن يصفه، عندما يقف الناس في الحساب، ويتوجه الخطاب الإلهي في هذه الحالة إلى المتقين بدخول الجنة، وفيه أيضا الإشارة إلى المخاطبين بهذه الآية الكريمة في الدنيا إلى وجوب إحسان العمل، لأنه هو ما يكون يوم القيامة في الميزان لا غيره؛ والله أعلم.

## المبحث الثاني: الصور البلاغية في الحديث عن المشركين وعنادهم

**الصور البلاغية في الآية الثالثة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل: ٣٣]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن تناولت السورة الكريمة جانبا من أقوال المتقين، وكيف يجيبون إذا سئلوا ماذا أنزل ربكم فيقولون: أنزل خيرًا، وبشرتهم بما يسرهم، وبشرح صدورهم بما أعده الله تعالى من جزيل الخير، وعميم الفضل لهم، عادت مرة أخرى لتهديد الكافرين لعلهم يزدجرون أو يتذكرون، فقال الله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ .....) [النحل: ٣٣][1].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

من خاض في بحر بلاغة القرآن الكريم، ووقف عند هذه الآية الكريمة ستسوقه أمواج بلاغتها إلى عدة صور:

**الصورة الأولى: الاستفهام البليغ في أول الآية الكريمة**

صدرت هذه الآية الكريمة بالاستفهام، والذي هو في حقيقته طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم، هذا عن تعريف الاستفهام في اصطلاح البلاغيين[2]، ولكن حقيقة الاستفهام مستحيلة على

---

[1] – انظر التفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوي ١٤١/٨، الكشاف للزمخشري ٤٣٤/٣.

[2] – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٢٥٨/١.

الله تعالى، فهو الذي يعلم السر وأخفى، فكل استفهام ورد في القرآن الكريم مضافا إلى الله تعالى وجب البحث عن النكتة البلاغية فيه، إذ لا يراد به حقيقته مطلقا، هذا والذي ينظر في هذا الاستفهام المسوق في أول الآية الكريمة، يجد أنه خرج عن حقيقته لمعنى جليل يجب أن ينتبه له القارئ لكتاب الله تعالى، وهذا المعنى هو الإنكار، والمراد منه النفي المشوب بالتوبيخ واللوم والتقريع، الموجع لهؤلاء الذين كذبوا آيات الله تعالى ونعتوها بالأساطير، وقد وضح المفسرون ذلك في تفاسيرهم.

قال الطاهر بن عاشور: والاستفهام إنكاري في معنى النفي، ولذلك جاء بعده الاستثناء[1]، وأبان الشيخ طنطاوي في تفسيره عن هذه الصورة البلاغية فقال: والاستفهام في قوله سبحانه: (هَلْ يَنظُرُونَ) إنكاري في معنى النفي و(يَنظُرُونَ) هنا بمعنى ينتظرون، أي ما ينتظر أولئك المتكبرون الذين لا يؤمنون بالآخرة إلا أن تأتيهم الملائكة لنزع أرواحهم من أجسادهم، أو يأتي أمر ربك –أيها الرسول الكريم– بإهلاكهم، أو بإنزال العذاب بهم من حيث لا يشعرون، وليس المراد من الجملة الكريمة أنهم ينتظرون ذلك على سبيل الحقيقة، لأن إصرارهم على الكفر جعلهم يستهينون بهذا التهديد، وإنما المراد أنهم حين أصروا على الكفر مع ظهور البراهين على بطلانه، صار حالهم كحال المترقب لنزول أحد الأمرين، قبض الملائكة لأرواحهم أو نزول العذاب بهم[2].

---

[1] – التحرير والتنوير ١٤/١٤٥.

[2] – التفسر الوسيط ٨/١٤٢.

**الصورة الثانية: أسلوب القصر المستفاد من الاستفهام والاستثناء في قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ) [النحل: ٣٣].**

اشتملت هذه الآية الكريمة على أسلوب القصر الماتع في قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) [النحل: ٣٣] [١].

والناظر في هذه الآية الكريمة يجد أنها قد اشتملت على هذا الأسلوب الراقي لنكتة لطيفة، أبان عنها الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، قال: والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذلك جاء بعده الاستثناء، و(يَنظُرُونَ) بمعنى الانتظار، وهو النظيرة، والكلام موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم تذكيرا بتحقيق الوعيد وعدم استبطائه، وتعريضا بالمشركين بالتحذير من اغترارهم بتأخير الوعيد، وحثا لهم على المبادرة بالإيمان، وإسناد الانتظار المذكور إليهم جار على خلاف مقتضى الظاهر، بتنزيلهم منزلة من ينتظر أحد الأمرين، لأن الإعرض عن الوعيد وعدم التفكر في دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم مع ظهور تلك الدلائل، وإفادتها التحقق، كحال من أيقن حلول أحد الأمرين به، فهو يترقب أحدهما كما نقول لمن لا يأخذ حذره من العدو: ما تترقب إلا أن تقع أسيرا[٢].

---

[١] – والقصر في اللغة: التخصيص يقال: قصر الشيء على كذا إذ خصه به، ولم يجاوز به إلى غيره، ويأتي بمعنى الحبس يقال: قصر نفسه على عبادة الله أي حبس نفسه عليها، وفي اصطلاح علماء البلاغة هو تخصيص شيء بشيء بعبارة كلامية تدل عليه، وله عدة طرق، منها: النفي والاستثناء نحو: لا إله إلا الله، ومثل قوله تعالى: (ومَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ) [يس: ١٥].مفتاح العلوم للسكاكي ص٢٨٨، جواهر البلاغة للهاشمي ص١٦٨، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حنبكه ٥٢٣/١.

[٢] – التحرير والتنوير ١٤٥/١٤.

**الصورة الثالثة: التشبيه البليغ في قول الله تعالى: (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) [النحل: ٣٣].**

هذه صورة بديعة من صور البلاغة العالية، التي أودعها الله سبحانه وتعالى مكنون كتابه، وهو صورة التشبيه الواقع في هذه الآية الكريمة: (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) [النحل: ٣٣].

وقد جيء بهذا التشبيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من صنوف عناد الكفار والمشركين، وكيف كذبوه، وآذوه، وجحدوا النور الذي أنزل معه، حتى قالوا عليه أساطير الأولين.

قال الشيخ طنطاوي في توضيح هذه الصورة البلاغية: وقوله سبحانه: (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما أصابه منهم من أذى، أي مثل هذا الفعل الشنيع الذي صدر عن الكافرين من قومك –يا محمد– فعل الذين من قبلهم، من أقوام الرسل السابقين كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح، فإنهم قد آذوا رسلهم كما آذاك قومك، وقد أنزلنا بهم ما يستحقون من عقاب دنيوي، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى[١].

كما أن لهذا التشبيه فوق تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتطرية قلبه فائدة أخرى، وهي أن هذا التشبيه أفاد تقريب الأمر إلى هؤلاء الكفار من جهة بعث صورة من فعل مثلهم، وكيف كان عقابه أمامهم ليعتبروا ويتذكروا ويرتدعوا عما هم عليه، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ دروزة في تفسيره فقال: وفي الآيتين تذكير بأن أمثالهم من قبلهم قد فعلوا ذلك، فنزل عليهم عذاب الله جزاء أعمالهم السيئة، وأصابهم سوء عاقبة الاستهزاء الذي كانوا يقابلون به

[١] – التفسير الوسيط ١٤٢/٨.

أنبياءهم، وهم في ذلك إنما كانوا الجناة على أنفسهم الظالمين لها ولم يظلمهم الله، وإنما عاقبهم عقابا عادلا استحقوه بأفعالهم[١]؛ وإلى تقرير هذه المعاني درج أكثر المفسرين[٢].

وقد بلغ هذا التشبيه نهايته في البلاغة، حين جعل فعل هؤلاء الكفار والمشركين مشبها به، وجعل فعل السالفين من الأمم المتقدمة مع أنبيائهم مشبها، على جهة التشبيه المقلوب، فكانت الصورة في المراد تشبههم قد اكتملت وظهرت وبانت، حتى بلغ الحال أن يشبه بها لا أن تشبه، وفي هذا من التهويل لما فعلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما فيه، فتأمل؛ وقد ذكر البلاغيون أن التشبيه المقلوب من التشبيهات التي بلغت شأوا في البلاغة[٣].

**الصورة الرابعة: الاعتراض للتشويق إلى الخبر**

بالإضافة إلى ما سبق من صور بلاغية في الآية الكريمة، فإن هذه الآية تحتوي على لون جليل من ألوان علم البديع، وهو ما يسمى بالاعتراض [٤].

---

[١] – التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول تأليف محمد عزة دروزة ت١٤٠٤هـ، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م ١٣٠/٥.

[٢] – الكشاف للزمخشري ٤٣٤/٣، روح المعاني للألوسي ١٣٤/١٤.

[٣] – البيان لكرم البستاني، طبعة مكتبة صادر بيروت، بدون ص٦٠.

[٤] – وهو كما عرفه الإمام ابن القيم في الفوائد المشوق: أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكنا، وتفيد معنى آخر مع أن اللفظ يستقل بدونها، ويلتئم بغيرها، مثل قوله عز وجل: (لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) [الفتح: ٢٧]، وقوله تعالى: (ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً) [النور: ٣٣] أو لم يردن، ولكن أفاد قوله: ==

والذي يجيل النظر هنا في هذه الآية الكريمة، يجد أنها اشتملت على جملة معترضة بين جملتين، هي قول الله تعالى: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فإنها جاءت معترضة بين قول الله تعالى: (كَذَلِكَ فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) [النحل: ٣٣]، وبين قوله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا .....) [النحل: ٣٤] جاءت هذه الجملة القرآنية البديعة معترضة بين هاتين الجملتين الكريمتين، لإظهار أن ما ترتب على الذي فعلوه هو من عند أنفسهم، وأن الله تعالى لا يظلم الناس شيئا، فهم الجناة على أنفسهم، فقد جاءت هذه الجملة القرآنية لتمكن هذا المعنى في نفس السامع.

وإلى هذا أشار الشيخ طنطاوي بقوله: قوله سبحانه: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) معطوف على قوله: (كَذَلِكَ فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) وما بينهما اعتراض[1].

وأشار الإمام الطاهر بن عاشور إلى نكتة هذا الاعتراض بقوله: ووجه هذا الاعتراض إلى ما فعله الذين من قبلهم، يشير إلى ما كان من عاقبتهم، وهو استعجالهم، فعُقِب بقوله تعالى: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) أي فيما أصابهم، ولما كان هذا الاعتراض مشتملا على أنهم ظلموا أنفسهم، صار تقريع (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) عليه، أو على ما قبله، وهو أسلوب من نظم الكلام عزيز، وتقدير أصله: كذلك فعل الذين من قبلهم وظلموا أنفسهم، فأصابهم سيئات ما عملوا وما ظلمهم الله، ففي تغيير الأسلوب المتعارف التشويق إلى

---

==

(إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً) الإعلام بترغيب الشرع في التحصين وأنه مطلوبه. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص٩٤.

[1] – التفسير الوسيط ١٤٢/٨.

الخير، وتهويل له بأنه ظلم أنفسهم وأن الله لم يظلمهم، فيترقب السامع خبرا مفظعا وهو: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) [النحل: ٣٤][١].

وإلى هذا المعنى أشار جل المفسرين كأبي حيان في البحر[٢]، والألوسي في روح المعاني[٣]؛ فانظر إلى بلاغة القرآن السامقة، التي لا تدانيها بلاغة، ولا يرنو أحد أن ينسج على منوالها.

**الصورة الخامسة: تقديم المفعول به المفيد للتخصيص في قوله تعالى: (ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل: ٣٣]**

هذه صورة أخرى من الصور التي احتوت عليها الآية الكريمة من بلاغة قرآنية عالية، وهي تقديم المفعول في قوله تعالى: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل: ٣٣]، وكان السياق يقتضي "ولكن كانوا يظلمون أنفسهم"، ولكنها بلاغة القرآن الكريم التي لم ينسج على منوالها، ولا سمحت قريحة بمثالها، اقتضت أن يتقدم المفعول على عامله، ليظهر جليا في أذهان هؤلاء الظلمة، أنهم بأفعالهم هذه إنما يُغرقون في ظلم أنفسهم، وأنفسهم فقط، كما أنه لا وجه للقول بأن الله يظلمهم، وإنما هم من يظلم.

---

[١] – التحرير والتنوير ١٤٦/١٤.

[٢] – البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ت٧٤٥هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. زكريا عبد المجيد النوني، ود. أحمد النجولي الجمل، تقريظ د. عبد الحي الفرماوي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م، ٤٧٥/٥.

[٣] – روح المعاني للألوسي ١٣٥/١٤.

قال الإمام أبو زهرة في توضيح هذه الصورة البلاغية :إن المذنب إذا نزل به عقاب ذنبه لا يقال: إن من أنزل به العقاب هو الذي ظلم، إنما الظالم من ارتكب سبب العقاب، فهؤلاء بارتكابهم سبب العذاب، الذي جاء بأمر الله ظلموا أنفسهم، وهنا أمران بيانيان نشير إليهما: الأمر الأول: التعبير ب(كانُوا) فهو دال على استمرارهم في أسباب ظلم أنفسهم من إنكار وجحود ومكابرة.

الأمر الثاني: تقديم كلمة (أَنفُسَهُمْ) على (يَظْلِمُونَ) للإشارة إلى أن ما ارتكبوا من آثام كان يقع على أنفسهم لا على غيرهم، وللاهتمام والتخصيص، وقد أكد سبحانه هذا المعنى السامي فقال: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) [النحل: ٣٤].

وقد أبدع الإمام السيوطي في توضيحه لهذا المعنى البلاغي في شرح عقود الجمان فقال: تقديم المفعول على الفعل، يكون لرد الخطأ في التعيين بأن يكون المخاطب يظن وقوعه على مفعول معين وهو واقع على غيره، كقولك زيدا عرفت، لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا غيره، ويؤكد هذا قولك لا غيره، ولذلك لا يقال: ما زيدا ضربت ولا غيره، لأن التقديم يدل على وقوع الضرب على غير زيد تحقيقا لمعنى الاختصاص[١].

قال الشيخ طنطاوي رحمه الله في توضيح هذه الصورة: قوله تعالى: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بيان لعدالة الله تعالى، وأنه سبحانه لا يظلم الناس شيئا، أي وما ظلمهم الله حيث أنزل بهم عقابه، لكن هم الذين

[١] – شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص٤١.

ظلموا أنفسهم بترديهم في الكفر، وإصرارهم عليه، ومحاربتهم لمن جاء لإخراجهم من الظلمات إلى النور[1].

فانظر إلى القرآن الكريم فإن كل كلمة منه جامعة لمعاني شتى، وكل آية تحتوي على معان لغير المتكلم به لا تتأتى.

**الصورة السادسة: الجناس المغاير في قوله تعالى: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل: ٣٣]**

في هذه الآية الكريمة وقع ما يسمى في علم البديع بالجناس المغاير، وهو صورة بديعة من المحسنات اللفظية التي تضفي على اللفظ رونقا وجمالا، وقد سبق أن عرفت لك الجناس وأقسامه ما يغني عن إعادته هنا[2].

قال الإمام الأرموي في حدائق الروح والريحان: وقد تضمنت هذه الآية الكريمة ضروبا من البلاغة، وأنواعا من الفصاحة والبيان والبديع، منها الجناس في قوله تعالى: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل: ٣٣][3]، فوقوع الجناس هنا بين لفظي (ظَلَمْنَاهُمْ) و(يَظْلِمُونَ) إذ مادة الكلمتين واحدة، والله أعلم.

---

[1] – التفسير الوسيط ١٤٢/٨.

[2] – سبق في صفحة من هذا البحث

[3] – حدائق الروح والريحان ٢٣١/١٥.

**الصور البلاغية في الآية الرابعة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) [النحل: ٣٤]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما بين الله تعالى مقولة الكافرين إذا سئلوا عما أنزله ربهم سبحانه، وبين ما أعده لهم من عذاب وبيل، دفع سبحانه وتعالى ما قد يتوهمه بعضهم، أو كلهم، من أن هذا من الله ظلم لهم، بقوله: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل: ٣٣]، أتبع هذا الدفع بأن من ظلمهم لأنفسهم أن أصابتهم سيئات أعمالهم، أي فتسبب عن ظلمهم لأنفسهم أن أصابهم (سَيِّئَاتُ) أي عقوبات ما عملوا، وأحاط بهم إحاطة تامة ضابطة ما كانوا به يستهزءون من العذاب[١].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

انطوى هذا النص المعجز على العديد من الصور البلاغية الخلابة، التي يعجز أحد عن الإتيان بمثلها، وها نحن نميط اللثام عن بعض هذه الصور قدر الوسع والطاقة، والتي منها:

**الصورة الأولى: التعبير بالمجاز العقلي لتصوير ما ينتظر الكفار في الآخرة في قوله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا....) [النحل: ٣٤]**

تكاد البلاغة الواقعة في قول الله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ....) تذهب بالعقول من صفائها، وبهائها، ورونقها الفخيم، الذي يصور الكفار حالة وقوع العذاب بهم بأن ما يصيبهم إنما هو سيئات أعمالهم، للإشارة إلى

[١] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/١٥٠.

أن هذه السيئات كان لها من عظيم الأثر، حتى ظن الظان أنها هي التي تصيب، والذي يصيب على الحقيقة هو جزاء هذه السيئات، لا السيئات نفسها، تظهر هذه الصورة من إسناد الفعل "أصاب" إلى كلمة السيئات، وكان السياق يقتضي فأصابهم جزاء سيئات أعمالهم، ولكنها البلاغة المعجزة التي وردت في هذه الآية الكريمة بالمجاز العقلي الفريد الذي أعطى هذه المعاني.

قال الإمام أبو السعود: (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) أي أجزية أعمالهم السيئة، على طريقة تسمية المسبب باسم سببه إيذانا لفظاعته، لا على حذف المضاف فإنه يوهم أن لهم أعمالا غير سيئاتهم[١].

وقال الطاهر بن عاشور: وإصابة السيئات إما بتقدير مضاف، أي أصابهم جزاؤها، أو جعلت أعمالهم السيئة كأنها هي التي أصابتهم، لأنها سبب ما أصابهم فهو مجاز عقلي[٢]، وإلى هذا المعنى السابق أشار كثير من المفسرين كالزمخشري، والألوسي، والقاسمي[٣].

**الصورة الثانية: المشاكلة الواقعة في قوله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) [النحل: ٣٤]**

يندرج تحت هذه الآية الكريمة لون جليل من ألوان علم البديع ألا وهو المشاكلة، وهو من المحسنات البديعية المعنوية [٤].

---

١ – إرشاد العقل السليم للإمام أبي السعود ٣٥٩/٣.

٢ – التحرير والتنوير ١٤٦/١٤.

٣ – الكشاف ٤٣٤/٣، روح المعاني ١٣٤/١٤، محاسن التأويل ٣٨٠٠/١٠.

٤ – عرفها البلاغيون لغة: بأنها من المماثلة، وفي الاصطلاح: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا، فالأول كقوله تعالى: (وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) ==

وإذا أجلنا النظر في هذه الجملة المباركة من الآية الكريمة (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) [النحل: ٣٤]، نجد أن الله تعالى سمي ما يقع بهم سيئة، وهو في الحقيقة ليس بسيئة، وإنما هو من قبيل المشاكلة، للإشارة إلى أن ما يفعله الإنسان يحل به، وكأنه هو نفس ما فعل، إذ الجزاء من جنس العمل.

قال الإمام الشعراوي في توضيح هذه الصورة البلاغية: قوله: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)، أي أنهم لما ظلموا أنفسهم أصابهم جزاء ذلك، وسمي ما يفعل بهم سيئة، لأن الحق تبارك وتعالى يسمي جزاء السيئة سيئة، في قوله تعالى: (وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى: ٤٠]، ويقول تعالى: (وإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ) [النحل: ١٢٦] وهذه تسمى مشاكلة ،أي أن هذه من جنس هذه[١].

**الصورة الثالثة: ائتلاف اللفظ مع المعنى الواقع في قول الله تعالى: (وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) [النحل: ٣٤]**

اشتملت هذه الآية الكريمة على العديد من المحسنات البديعية، التي تقرع سمع كل ذي لب، ومن هذه المحسنات البديعية غير ما تقدم، ما يسمى في علم البديع –وينضوي تحت المحسنات المعنوية– ائتلاف اللفظ مع المعنى،

---

==

[الشورى: ٤٠]، إذ الجزاء على السيئة ليس بسيئة في الحقيقة، لكنه سمي سيئة للمشاكلة اللفظية، والثاني كقوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ) [البقرة: ١٣٨] وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع لأحمد مصطفى المراغي ص٣٢٤، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ص١٦٤، الإتقان في علوم القرآن ١٧٧١/٥.

[١] – تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي ٧٩٠١/١٣.

وهو كما عرفه البلاغيون: أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الشديدة، للفخر والحماسة، والكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة، للغزل ونحوه[١].

وقد أبان الشيخ حبنكة الميداني عن هذا المحسن البديعي بقوله: ومن المحسنات البديعية اللفظية أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد منها، ومن هذه الملائمة أن يحكي صوت الكلمة صوتا يوجد فيما دلت عليه، مثل "صرصر" صوت الريح الشديد، و"سلسبيل" لصوت الماء الذي يجري بيسر[٢].

ولنقف سويا مع الإمام البقاعي، الذي أبان عن هذه الصورة البلاغية الموجودة في الآية الكريمة، قال: ومادة "حاق" واوية ويائية بتراكيبها الست، حوق- حقو- قحو- قوح- وقح- حيق، تدور على الإحاطة، ويلزمها صلابة المحيط، ولين المحاط به، حاق به الشيء إذا نزل به فأحاط، والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله، وحاق فيه السيف حاك أي عمل، والحيقة شجرة كالشيح يؤكل بها التمر كأنه يحيط بالتمرة، وحايقه أي حسده وأبغضه، لإحاطة ذلك، وحوق عليه تحويقا إذا عوج عليه الكلام، والحوق بالفتح الكنس، والدلك، والتمليس، لأن كلا منها ترد فيه اليد إلى قريب من

---

[١] – شموس البراعة شرح دروس البلاغة لأبي الفضل محمد فضل الحق الرامفوسي، طبعة المطبع الآسي بالكهنؤ ١٩٢٣م، ص١٤٦.

[٢] – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٥٢٠/٢ باختصار.

مكانها، فيشبه الإحاطة ولو بالتعريج، والوقاح الحافر الصلب، وهو من الاستدارة أيضا[1].

فانظر في مادة هذه الكلمة وكيف تدور بتراكيبها على الإحاطة، لترى أن في التعبير بها عن إحاطة العذاب بهؤلاء الكافرين في الآية الكريمة، من البلاغة الفخيمة السامقة ما يعجز الألباب، وليس هذا غريبا فكل سورة في القرآن الكريم إحكام أحكامها لا ينحصر، وإعجاز إيجازها قد أعجز البشر.

**الصورة الرابعة: المجاز العقلي في قول الله تعالى: (وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) [النحل: ٣٤]**

كما ورد في صدر هذه الآية الكريمة التعبير بالمجاز العقلي، في قوله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا)، فكذلك ورد في عجزها أيضا، وذلك حيث أسندت الإحاقة إلى ما كانوا به يستهزءون، وما هذا الذي سيحيق بهم على الحقيقة، وإنما جزاؤه، وعلى هذا يكون التقدير وحاق بهم جزاء ما كاوا به يستهزءون، والله أعلم.

[1] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ١٤/١٥٣.

## المبحث الثالث: الصور البلاغية في الحديث عن قطع حجج المشركين وبيان وظيفة الرسل عليهم السلام

**الصور البلاغية في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ ولا آبَاؤُنَا ولا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما تم ما هو عجب من مقالهم ومآلهم في سوء أحوالهم، وختم بتهديدهم، عطف على قوله: (وإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ) [النحل: ٢٤] موجبا آخر للتهديد معجبا من حالهم فيه، فقال: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا) [النحل: ٣٥] أي: الراسخ منهم في هذا الوصف، والتابع له على سبيل الاعتراض على من يدعوهم إلى التوحيد من نبي وغيره محتجين بالقدر عنادا منهم، ومعترضين على من لا يسأل عما يفعل بأنه لقدرته على كل شيء غير محتاج إلى بعث الرسل، فإرسالهم عبث- تعالى الله الحكيم عن قولهم- فهو قول من يطلب العلة في أحكامه تعالى، وفي أفعاله، وهو قول باطل لأنه سبحانه الفاعل لما يريد سواء اطلع العباد على حكمه أم لا[1]، وأقوالهم هذه ردها الله تعالى بتنظير أعمالهم بأعمال الأمم الذين أهلكهم الله، فلو كان يرضى بما عملوه لما عاقبهم بالاستئصال، فكانت عاقبتهم نزول العذاب بقوله تعالى: (كَذَلِكَ

[1] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/١٥٤.

فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)، ثم بقطع المحاجة بقوله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ)، أي ليس من شأن الرسل عليهم السلام المناظرة مع الأمة[1].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

احتشد الكثير من الصور البلاغية الخلابة في هذه الآية الكريمة، وها نحن ذا نميط اللثام عن بعض هذه الصور، إذ إحصاء الصور البلاغية في بعض الآيات الكريمة أمر لا نستطيع الجزم به :

**الصورة الأولى: الإظهار في مقام الإضمار في قول الله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا ....) [النحل: ٣٥].**

من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر إيقاع الإظهار في موقع الإضمار، الكائن في هذه الآية الكريمة، في قول الله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا ....)، وكان مقتضى الظاهر من الكلام أن يجيء التعبير "وقالوا" إذ الكلام عن هؤلاء جاء في سياقه، فالآيات السابقة تتحدث عنهم، ولكن بلاغة القرآن الكريم اقتضت أن يقع الظاهر مكان الضمير إمعانا في بيان السبب الداعي إلى قولهم هذا، وإلباسهم الباطل ثوب الحق، وفي هذا من أفانين البلاغية ما فيه.

قال الإمام أبو السعود في توضيح هذه الصورة: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا ....) أي: أهل مكة، وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الإضمار إلى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة، وذمهم بذلك من أول الأمر[2].

---

[1] – التحرير والتنوير ١٤/١٤٧.

[2] – إرشاد العقل السليم ٣/٣٥٩.

ومقصود هذا الإمام الكبير أبي السعود من كلامه هذا، أن الله تعالى عبر بالاسم الموصول وهو الظاهر بدلا من الضمير، ليفيد الكلام التقريع والتوبيخ واللوم بهذا الوصف، الذي هو الشرك بالله، الذي دعاهم إلى أن يقولوا ما قالوه، وفي هذا من الذم لهم ما يستحقون، فتأمل.

**الصورة الثانية: جمال الربط بالواو في عطف القصة على القصة في قوله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا ....) [النحل: ٣٥].**

في هذه الآية الكريمة وقع من ألوان البلاغة لون دقيق المأخذ، صعب المسلك، وهو الربط بالواو، أو هو ما يسمى بالوصل، حيث عطف قوله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا) على الكلام قبله، من قوله تعالى: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ....) [النحل: ٣٠]، وقد سبق تعريف الوصل ومسالكه في الصورة الثانية من الآية الثلاثين[١].

وهذا من باب عطف مضمون كلام الكفار ومحاجتهم للرسول صلى الله عليه وسلم باطلا على مضمون كلام المؤمنين، في إذعانهم وتصديقهم له صلى الله عليه وسلم، ليتضح الفارق بين الصنفين، فكلاهما مقابل للآخر مناظر له.

قال الطاهر بن عاشور: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا) [النحل: ٣٥] عطف قصة على قصة، لحكاية حال من أحوال شبهاتهم ومكابرتهم، وباب من أبواب تكذيبهم[٢].

---

[١] – سبق في صفحة من هذا البحث

[٢] – التحرير والتنوير ١٤٧/١٤.

**الصورة الثالثة: بلاغة الإطناب الواقع في قوله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ ولا آبَاؤُنَا ولا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ) [النحل: ٣٥]**

صورة بديعة من صور البلاغة السامقة، الراقية، الفخيمة، التي اشتملت عليها الآية الكريمة، وهو الإطناب الواقع في صدر هذه الآية الكريمة[١].

وهو لون من ألوان البلاغة فخيم، ونوع من أنواع البيان عظيم، كثير الفوائد، عظيم المحاسن، عميم اللطائف، يحتاج إليه كل بليغ ليخرج ما في مكنون صدره من المعاني، التي لولاه لا تتأتى.

والناظر في هذه الآية الكريمة التي معنا يجد أن الإطناب فيها قد وقع منه موقعا، إذ بغيره ما وصل هذا المعنى الجليل، فلو لم يقع الإطناب لكان اللفظ "لو شاء الله ما عبدنا أحدا ولا حرمنا شيئا" ولكن الإطناب جاء بزيادة لفظة (مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ) مرتين.

وهذا إنما هو إيغال في وصف الحال الذي هم عليها، فهم يعلمون علم اليقين أن ما يفعلونه هم مؤاخذون عليه، لأنه على غير سنن الحق، لذلك أفاد مجيء هذه اللفظة هذا الاعتراف بحالهم.

---

[١] – والإطناب في اللغة: الزيادة والمبالغة، وفي الاصطلاح: زيادة في اللفظ لتقوية المعنى، مثل قوله تعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) [الأحزاب: ٤] فإن الفائدة في قوله: (فِي جَوْفِهِ) لا تتأتى إذا لم توجد هذه العبارة، وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور المدلول عليه لأنه إذا سمع، صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين، وكان ذلك أسرع إلى الإنكار. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص١٠٧، حلية اللبب المصون على الجوهر المكنون ص١٢٩.

لذلك وصف الشيخ الصابوني في تفسيره هذه الجملة القرآنية بأنها إطناب[1].

وأبدع الإمام البقاعي –كعادته– في تصوير فائدة هذا الإطناب أيما إبداع، فقال: ولما كانت الرتب كلها متقاصرة عن رتبته، وكانت متفاوتة، وكان ما يعبدوه من الأصنام في أدناها رتبة، أدخلوا الجار فقالوا: "من شيء" وأغرقوا في النفي فقالوا: "من شيء" أي من الأشياء، "نحن ولا آباؤنا" من قبلنا، ولما ذكروا الأصل أتبعوه الفرع، فقالوا: "ولا حرمنا" أي على أنفسنا، "من دونه" أي دون أمره، "من شيء" لأن ما شاء لا يتخلف على زعمكم لكنه لم يشأ العدم فقد شاء وجود ما نحن عليه، فنحن نتبع ما شاءه، لا نتغير عنه، لأنه لا يشاء إلا ما هو حق، وضل عن الأشقياء بكلمتهم هذه الحق التي أرادوا بها الباطل أن مدار السعادة والشقاوة، إنما هو موافقة الأمر لا موافقة الإرادة[2].

فانظر إلى كتاب الله المسطور، كيف نظم، ورتب، وأبدع، على غير مثال، فسبحان من هذا الكلام كلامه.

**الصورة الرابعة: التشبيه في قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) [النحل: ٣٥]**

سبق عن قليل الحديث في قول الله تعالى: (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) [النحل: ٣٣] وأنها انضوت على تشبيه بليغ، وقد بينت هناك أسرار هذا التشبيه البلاغية بما يغني عن إعادته، وأزيد فأنقل كلام الشيخ طنطاوي في إجراء هذا التشبيه قال في الوسيط: واسم الإشارة "كذلك" يعود إلى إشراكهم وتحريمهم لما أحله الله تعالى، أي مثل ذلك الفعل الشنيع الذي فعله قومك

---

[1] – صفوة التفاسير للصابوني ١٢٩/٢.

[2] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥٤/١١.

معك يا محمد، فعل أشباههم السابقون مع أنبيائهم الذين أرسلهم الله تعالى لهدايتهم، فلا تبتئس أيها الرسول الكريم مما فعله معك مشركو قومك، فإننا لولا وجودك فيهم لأنزلنا لهم ما أنزلنا على سابقيهم من عذاب[١].

**الصورة الخامسة: الاستفهام في قول الله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥]**

أطبق أهل العلم على أن الاستفهام الواقع في هذه الآية الكريمة، إنما هو خارج عن معناه الحقيقي، إذ حقيقة الاستفهام مستحيلة على الله سبحانه وتعالى، وخروجه عن معناه الحقيقي إنما هو لنكتة بلاغية جليلة، ليضيف معنى جديدا، وهو هنا بمعنى الإنكار المشوب بالنفي.

قال الطاهر بن عاشور: والاستفهام بهل إنكاري بمعنى النفي، ولذلك جاء الاستثناء بعده[٢].

وقال الإمام السخاوي في قوله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥]: استفهام معناه النفي[٣].

وقال الشيخ أبو زهرة في توضيح هذه الصورة: قوله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥] الفاء للإفصاح، لأنها تفصح عن شرط مقدر إذ تقديره إذا كنتم تتحدون وتطلبون إنزال العقاب، فليس هذا إلينا، إنما علينا

---

[١] – التفسير الوسيط ١٤٥/٨.

[٢] – التحرير والتنوير ١٤٨/١٤.

[٣] – تفسير القرآن العظيم للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي المصري الشافعي ت٦٤٢هـ، تحقيق وتعليق د. موسى علي موسى مسعود –د. أشرف محمد عبد الله القصاص طبعة دار النشر للجامعات ط١ ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م ٤٥٤/١.

البلاغ الواضح المبين، الذي لا يترك ريبة لمرتاب، والاستفهام هنا إنكاري لإنكار الوقوع، أي ليس على الرسل إلا البلاغ المبين، أي التبليغ الواضح، وهذه الجملة السامية لا تخلو من إنذار، ووصف البلاغ بأنه مبين، يفيد أنه معلوم، فمن اهتدى فلنفسه، ومن عاند وخالف فعليه إثم عناده، والآية هنا رجحنا أنها للتحدي أو للاستهزاء[١]، وإلى هذا أشار جل المفسرين[٢].

**الصورة السادسة: أسلوب القصر البديع الواقع في قول الله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥]**

بنظرة دقيقة متأنية فاحصة في هذه الجملة الكريمة من الآية القرآنية، نجد أنها اشتملت على أسلوب بديع من أساليب البلاغة الراقية، وهو أسلوب القصر، وقد سبق تعريفه في الصورة الثالثة من الآية الحادية والثلاثين، وفي الصورة الثانية من الثالثة والثلاثين، بما يغني عن إعادته هنا[٣].

ونحن إذ نجيل النظر في هذه الآية الكريمة، نجد أنها قد اشتملت على هذا الأسلوب الراقي، أسلوب القصر المستفاد من النفي الذي أفاده الاستفهام والاستثناء، في قول الله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥].

ونحن نستدعي كلام الطاهر بن عاشور –رحمه الله– ليجلي لنا هذه الصورة البلاغية، قال: والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر إضافي، لقلب اعتقاد المشركين من معاملتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن للرسول

---

[١] – زهرة التفاسير ٤١٧٣/٨.

[٢] – التفسير الوسيط ١٤٦/٨، نظم الدرر ١٥٥/١١.

[٣] – سبق في صفحة من هذا البحث

غرضا شخصيا فيما يدعو إليه، وأثبت الحكم لعموم الرسل عليهم السلام، وإن كان المردود عليهم لم يخطر ببالهم أمر الرسل الأولين، لتكون الجملة تذييلا للمحاجة، فتفيد ما هو أعم من المردود[١].

قلت: ومعنى كون هذا القصر إضافيا هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة، وبالنسبة إلى شيء معين لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلا، وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه، والقصر الإضافي هو قسيم للقصر الحقيقي، والذي هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلا، نحو: لا إله إلا الله[٢]، والقصر الإضافي هو المراد هنا فتأمل.

---

[١] – التحرير والتنوير ١٤/١٤٩.

[٢] – جواهر البلاغة ص١٧٠.

**الصور البلاغية في الآية السادسة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) [النحل: ٣٦]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما بين سبحان وتعالى وظيفة الرسل في الآية السابقة، في قوله تعالى: (كَذَلِكَ فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥]، أتبع ذلك بيان مضمون هذه الجملة، تكملة لإبطال شبهة المشركين، إبطالا بطريقة التفصيل بعد الإجمال، لزيادة تقرير الحجة وإلقامهم الحجر[١].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

احتوت هذه الآية الكريمة على العديد من فنون البلاغة، وأصناف الفصاحة، وها نحن ذا نقف مع ما تبدى من هذه الصور قدر الطاقة البشرية:

**الصورة الأولى: خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر في صدر الآية الكريمة (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً) [النحل: ٣٦]**

الذي يجيل النظر في هذه الآية الكريمة، يجد أن الكلام قد خرج على خلاف مقتضى الظاهر، وذلك في قول الله تعالى: (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً)، حيث أكد الله سبحانه وتعالى الجملة باللام التي هي للقسم، وقد التي للتحقيق، تنزيلا للمرسل إليهم من المشركين منزلة المنكر، الذي يحتاج إلى تأكيد للخبر حتى يصدقه، وذلك لأنهم في إعراضهم عن الرسول صلى الله

[١] – التحرير والتنوير ١٤/١٤٩.

عليه وسلم، واستبعادهم بعثته كانوا بمنزلة من ينكر، والذي يرشح هذه الدلالة قوله تعالى في آخر الآية: (فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) [النحل: ٣٦]، ففي توجيه أنظارهم إلى رؤية عاقبة المكذبين، إشارة إلى أنهم ارتكبوا ذلك التكذيب.

والتأكيد لون من ألوان البلاغة العالية، فهو يمكن الشيء في النفس، ويقويه، ويزيل الشكوك، ويميط الشبهات، عما هو بصدد الإخبار به أو عنه، وإلى هذا أشار الشيخ طنطاوي بقوله: وأكد الجملة باللام وقد، للرد على ما زعمه المشركون من أن الله تعالى لم ينكر عليهم عبادة غيرهم، وأنه سبحانه راض لتحريمهم لما أحله، حيث بين لهم عز وجل أنه قد أرسل الرسل للدعوة إلى عبادته وحده، ولتجنب أحد سواه، و"أن" في قوله: "أن عبدوا" تفسيرية، لأن البعث يتضمن معنى القول، إذ هو بعث للتبليغ[١].

**الصورة الثانية: الاحتباك الواقع في قول الله تعالى: (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) [النحل:٣٦]**

صورة بديعة من فنون القول، تأخذ الألباب بسحرها، فيها إنارة الطريق للبلغاء وأهل التفسير، إنها الاحتباك الواقع في هذه الجملة القرآنية، وهو لون بديع من ألوان علم البديع، نبه عليه الإمام السيوطي في كتابه الإتقان، فقال: وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقل من تنبه أو نبه عليه من أهل البلاغة.

قال الأندلسي في شرح البديعية من أنواع البديع: الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: (وأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ) [النمل:

---

[١] – التفسير الوسيط ١٤٦/٨.

١٢] التقدير تدخل غير بيضاء، وأخرجها تخرج بيضاء، فحذف من الأول "غير بيضاء" ومن الثاني "وأخرجها"[١].

وسماه الإمام الزركشي في البرهان بالحذف المقابلي، وعرفه بأن يجتمع في الكلام مقابلان فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه[٢].

هذا وقد فجر هذا المعنى الجليل في هذه الآية الكريمة الإمام البقاعي في نظم الدرر، فقال: والآية من الاحتباك ذكر فعل الهداية أولا دليلا على فعل الضلال ثانيا، وحقوق الضلالة ثانيا دليلا على حقوق الهداية أولا[٣].

ونحن إذ نجلي كلام الشيخ نقول: إن الله تعالى ذكر فعل الهداية في قوله: (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ) وحذف فعل الضلالة، والتقدير ومنهم من ضل ثم ذكر سبحانه وتعالى حقوق الضلالة، فقال: (ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) والتقدير بعدها ومنهم من حقت عليه الهداية، فحذف من الأول فعل الضلالة، وذكر في الثاني ما يدل عليه، وحذف من الثاني حق الهداية، وذكر في الأول ما يدل عليه.

---

[١] – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٦٢٢/٥.

[٢] – البرهان في علوم القرآن، للإمام العلامة بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار التراث، بدون ١٢٩/٣.

[٣] – نظم الدرر للبقاعي ١٥٨/١١.

**الصورة الثالثة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: ٣٦]**

وقع في هذه الآية الكريمة لون بليغ من ألوان البيان، وهو الإيجاز بالحذف، وهو حذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم مع قرينة تعين المحذوف ، ويكون بحذف كلمة، أو كلمتين، أو جملة، أو جملتين، أو حذف الكلام كله[١].

وقد سبق ثناء العلماء على هذا اللون من ألوان البلاغة في الصورة الثالثة من الآية الثلاثين[٢].

وهو هنا أضفى على العبارة طلاوة، وحسنا، ورقة، ولو ظهر المحذوف لأخل بالمعنى، ولنقص من رونق البلاغة.

قال العز بن عبد السلام في بيان هذه الصورة: (واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) أي واجتنبوا عبادة الطاغوت، لقوله: (والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا) [الإسراء: ١٧][٣].

**الصورة الرابعة: الطباق في قول الله تعالى: (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) [النحل: ٣٦]**

من الصور البديعة التي وقعت في هذه الآية موقعا عذبا، الطباق الواقع في قوله تعالى: (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) [النحل: ٣٦]، والطباق كما هو معلوم عند البلاغيين: أن يجمع بين لفظين من نوع

---

[١] – جواهر البلاغة ١٩٩، الطراز للإمام يحيى بن حمزة العلوي ١٠٥/٢.

[٢] – سبق في صفحة من هذا البحث

[٣] – الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ص١٦٤.

اسمين، مثل قوله تعالى: (وتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وهُمْ رُقُودٌ) [الكهف:]، أو فعلين نحو يحيي ويميت، أو حرفين نحو: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) [البقرة: ٢٨٦]، أو من نوعين نحو: (أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ) [الأنعام: ١٢٢][١]، وقد سبق تعريفه بأوسع من هذا[٢].

وفي الآية التي نحن بصددها وقع الطباق بين كلمتي (هَدَى اللَّهُ) و(حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ) فالطباق بين الفعل هدى، والاسم الضلالة، فهو بين نوعين اسم وفعل.

وقد أشار الشيخ الصابوني إلى وقوع هذا الطباق، فقال: من صور البلاغة الطباق في (هَدَى اللَّهُ) و(حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ) [٣]، وفائدة الطباق هنا هو إظهار المضادة الشديدة التي تدعو أهل الباطل إلى النفرة مما هم عليه، إذا عرفوا أنهم في مقابل رضا الله تعالى وهداه، وفيه من تشويه ما هم عليه من الضلال ما فيه، والله أعلم.

---

[١] – التلخيص في علوم البلاغة ص٣٤٨، دروس في البلاغة العربية للدكتور سعد سليمان حمودة، طبعة دار المعرفة، مصر، القاهرة ١٩٩٩م ص٤١.

[٢] – سبق في صفحة من هذا البحث

[٣] – صفوة التفاسير ١٢٩/٢.

**الصورة الخامسة: الالتفات في قول الله تعالى: (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) [النحل: ٣٦]**

الذي يجيل النظر، ويعمل الفكر في هذه الآية الكريمة، ويتبع السياق الواقع فيها، يجد أنها اشتملت على أسلوب بلاغي راق، وهو التلوين في الخطاب، أو هو ما يسمى عند البلاغيين بالالتفات [١].

والآية التي نحن بصددها الآن وقع فيها هذا الأسلوب الرائع في صدرها، حيث كان الحديث بصيغة التكلم من الله عز وجل: (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) ثم جاء الالتفات إلى الغيبة، فصار الحديث بصيغة الغائب: (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) وكان السياق يقتضي فمنهم من هدينا، ولكنها بلاغة القرآن الراقية، وذلك للفت أنظارهم، واسترعاء سمعهم، بأن الهداية والإضلال بيد الله سبحانه وتعالى، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهكذا البلاغة، فإن المتكلم إذا

---

[١] – وهو كما عرفه البلاغيون: التعبير عن معنى بواحد من الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بغيره منها، وعرف بغير ذلك، لأن عبارات البلغاء فيه بين موسع ومضيق، ويلقب الالتفات بشجاعة العربية على معنى أن البلغاء من ناطقي العربية كانت لديهم شجاعة أدبية بيانية استطاعوا بها أن يفاجئوا المتلقي بالتنقل بين طرق الكلام الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة، مشيرين بذلك إلى أغراض بلاغية يريدون التنبيه عليها بذلك .شرح عقود الجمان للسيوطي ص٢٨، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ص٤٧٩، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسين طبل، طبعة دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م، ص٦، تحرير التحبير في صناعة العر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري ت٦٥٤هـ، تحقيق د. حنفي محمد شرف، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م، ص١٢٣.

انتقل من أسلوب إلى أسلوب آخر كان أحسن وأشهى للقلب، وألذ للسمع، وأكثر إصغاء لما فيه من التنقل لما جبلت عليه النفوس من الضجر، والله أعلم.

**الصورة السادسة: خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر بالاستفهام الواقع في قول الله تعالى: (فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) [النحل: ٣٦]**

ختمت هذه الآية الكريمة بهذا التذييل الراقي، الموجه به الأمر إليهم بالسير في الأرض على حقيقته ليقع لهم النظر، ويروا رأي العين كيف كان عاقبة المكذبين حتى يعتبروا ويتعظوا، ولهذا جلب الاستفهام الذي خرج على غير مقتضى الظاهر، والمقصود به لفت النظر إلى أن حال الأمم السابقة مما يستحق أن يستفهم عنه، ولقد غاص الإمام البقاعي في هذه الآية بفكره، وفجر لنا هذا المعنى البلاغي الرصين، فقال: وأشار بالاستفهام إلى أن أحوالهم مما يجب أن يسأل عنه للاتعاظ به فقال: (كيْفَ كانَ) أي كونا لا قدرة على الخلاص منه، (عَاقِبةُ) أي آخر أمر، (المُكذِّبِينَ) أي من عاد ومن بعدهم الذين تلقيتم أخبارهم عمن قلدتموه في الكفر من أسلافكم، فإنهم كذبوا الرسل فيما أمرتهم بإبلاغه مخالفة لأمري، وعملا بمشيئتي، فأوقعت بهم لأنهم خالفوا أمري باختيارهم مع جهلهم بإرادتي فقامت عليهم الحجة على ما يتعارفه الناس بينهم[1].

[1] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٥٨/١١.

**الصورة السابعة: الإظهار في موقع الإضمار الماثل في قول الله تعالى: (فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) [النحل: ٣٦]**

وقع الإظهار في موقع الإضمار في هذه الآية موقعا حسنا بليغا، وكان السياق فانظر كيف كان عاقبتهم، لما مر من ذكرهم، ولكن بلاغة القرآن الكريم اقتضت أن تورد الاسم الظاهر (المُكذِّبِينَ) مكان الضمير، للإشارة إلى أن ما حل بهم من دمار وهلاك وخسف إنما هو لأجل تكذيبهم، وفي هذا من التنفير من حالهم ما فيه، ولنترك الإمام أبا زهرة ليميط لنا اللثام عن هذه الصورة البلاغية البديعة، قال في زهرة التفاسير: (فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) الفاء الأولى دالة على الإفصاح على شرط مقدر، أو كلام مقدر تقديره فنزل بهم الدمار والهلاك، (فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ) فستجدون الآثار لمن أهلكهم الله، (فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) ولذلك أظهر في موضع الإضمار، للدلالة على أن ما أصابهم سببه التكذيب[1].

[1] – زهرة التفاسير ٨/٤١٧٦.

**الصور البلاغية في الآية السابعة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) [النحل: ٣٧]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

قال أبو حيان: لما قال الله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) [النحل: ٣٥] بين ذلك هنا، بأنه بعث الرسل بعبادته، وتجنب عبادة غيره، فمنهم من اعتبر فهداه الله، ومنهم من أعرض وكفر، ثم أحالهم في معرفة ذلك على السير في الأرض واستقراء الأمم، والوقوف على عذاب الكافرين المكذبين، ثم خاطب نبيه وأعلمه أن من ختم عليه بالضلالة لا يجدي فيه الحرص على هدايته، فجاء قوله تعالى: (إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) [النحل: ٣٧].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

فاضت الآية الكريمة –كسائر القرآن الكريم– بالمعاني البلاغية بما يطرب ويعجب، وها نحن ذا نميط اللثام لك عن بعضها قدر الوسع والطاقة، والله تعالى المستعان:

**الصورة الأولى: البلاغة الراقية في الالتفات الواقع في قول الله تعالى: (إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) [النحل:٣٧]**

لولا أن القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة، وأسمى آيات البلاغة، لاقتضى المقام أن يكون الخطاب: إن تحرص على هداهم فإني لا أهدي من أضل، ولكن لأن القرآن ألفاظه نادرة الوجود، ومعانيه مستوفية للمطلوب، جاء في هذا الخطاب ما يسمى بالالتفات من التكلم إلى الغيبة، وذلك لنكتة

طريفة وهي استشعار عظمة الله تعالى، ونسبة الأمر إليه، فهو الذي يهدي ويضل، فبيده الهدى والضلالة لا إلى غيره، وقد أظهر هذا المعنى التلوين في الخطاب لاستدعاء سمع المخاطب وتنبيهه إلى أن هذا الأمر لله وحده لا إلى غيره، مهما كان من حرص منك أيها الرسول الكريم، ومثل هذا المعنى لا يؤدي بهذا التمكن إلا بهذا الأسلوب البلاغي الرصين.

**الصورة الثانية: خروج الشرط على غير مقتضى الظاهر في قوله تعالى: (إن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ) [النحل: ٣٧]**

في هذه الجملة الكريمة من القرآن الكريم وقع الشرط على غير مقتضى الظاهر، إذ المقصود من الجملة الشرطية تقييد حدوث الجواب على حدوث الشرط، وانتفاؤه إذا انتفى.

وكأن المقصود هنا من هذه الآية الكريمة: إن حرصت على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وإلا فلا؛ وهذا المعنى غير مراد بالمرة، إذ المولى عز وجل لا يهدي من يضل سواء كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا أو غير حريص، ولذا كان الشرط هنا على غير مقتضى الظاهر.

وقد أبان الطاهر بن عاشور عن هذه الصورة خير بيان، فقال: والشرط هنا ليس لتعلق حصول مضمون الجواب على حصول مضمون الشرط، لأن مضمون الشرط معلوم الحصول لأنه علاماته ظاهرة بحيث يعلمه الناس، كما قال الله تعالى: (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) [التوبة: ١٢٨] وإنما هو لتعلق العلم بمضمون الجواب على دوام حصول مضمون الشرط، فالمعنى: إن كنت حريصا على هداهم حرصا مستمرا فاعلم أن من أضله الله لا تستطيع هديه،

ولا تجد لهديه وسيلة، ولا يهديه أحد، فالمضارع مستعمل في معنى التجدد لا غير[1].

**الصورة الثالثة: وضع الظاهر موضع الضمير في قوله تعالى: (إن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) [النحل: ٣٧]**

لا يرتاب بليغ عالم بمدارك الكلام وطبقات البلاغة، أن القرآن الكريم لا يعدل عن الإضمار في أسلوب من أساليبه إلى الإظهار، إلا لنكتة بلاغية تضفي على المعنى جلالا ورونقا، وتقنع الفصحاء والبلغاء، والأمر على ما قلت في هذه الآية الكريمة، حيث وقع الظاهر فيها موقع الضمير، وكان السياق يقتضي: إن تحرص على هداهم فإني لا أهدي من أضل، إذ الكلام من بدايته للمتكلم جل وعز، ولكن جنحت الآية الكريمة بنا إلى هذا الأسلوب البلاغي لكي يحصل التمكن من الخبر المسوق بعد، وهو أن الله هو الهادي لا هادي غيره.

قال الإمام الطاهر بن عاشور: وجعل المسند إليه في جملة الإخبار عن استمرار ضلالهم اسم الجلالة، للتهويل المشوق إلى استطلاع الخبر، والخبر هو أن هداهم لا يحصل إلا إذا أراده الله، ولا يستطيع أحد تحصيله لا أنت ولا غيرك، فمن قدر الله دوام ضلاله فلا هادي له، ولولا هذه النكتة لكان مقتضى الظاهر أن يكون المسند إليه ضمير المتحدث عنهم، بأن يقال: فإنهم لا يهديهم غير الله[2].

---

[1] – التحرير والتنوير ١٤/١٥١.

[2] – التحرير والتنوير ١٤/١٥٢.

**الصورة الرابعة: الطباق الواقع في قوله تعالى: (لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) [النحل: ٣٧]**

إنها صورة بديعة من صور البلاغة في القرآن الكريم، تسترعي الانتباه، وتحمل على الإصغاء، وتثير في النفس أسمى آيات الإعجاب، وتكسب المعنى حسنا وجمالا، كما تكسب النظم رونقا وبهاء.

إنه الطباق الواقع في هذه الآية بين لفظي "يهدي" و"يضل"، للإشارة إلى بعد البون بينهما، وإلى استحالة وجود إحداهما بعد وجود الأخرى إلا بإذن الله تعالى، فبيده الهداية والإضلال، ولإظهار بشاعة الضلال مقابلا للهداية، حتى تنفر منه النفوس، وحتى يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أن حرصه لا يجدي في جوار إرادة الله تعالى.

كل هذه المعاني أنتجتها هذه الصورة من الطباق، وقد أشار الشيخ الصابوني إلى وجود هذه الصورة في هذا الموضع[١].

**الصورة الخامسة: وضع الظاهر موضع الضمير في قول الله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) [النحل: ٣٧]**

معلوم أنه إذا تقدم مرجع الضمير، أو دلت عليه قرينة كان المقام للإضمار، إلا أنه قد يوضع المظهر في موضع المضمر لأغراض بلاغية، كزيادة

[١] – صفوة التفاسير ١٢٩/٢.

تمكنه في ذهن السامع، أو كمال العناية بتمييزه إلى غير ذلك من الأغراض[١].

وهذا ماثل في هذه الآية الكريمة، وقد كان السياق يقتضي: إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهديهم، ولكن بلاغة القرآن الكريم اقتضت وضع الظاهر الذي هو الاسم الموصول "من" مكان الضمير، للإشعار بصلة الحكم الذي ورد في الآية، وهو عدم هدايتهم يعني لأنهم ضلوا، وقد كشف النقاب عن هذا المعنى الطاهر بن عاشور في تفسيره، والألوسي في روح المعاني[٢].

قال الطاهر بن عاشور: وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على أنهم ممن حقت عليه الضلالة، وللإشعار بعلة الحكم، ويجوز أن يكون المذكور علة للجزاء المحذوف أي: إن تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك، لأن الله لا يهدي من يضله، وهؤلاء من جملتهم[٣].

**الصورة السادسة: مقابلة الجمع بالجمع في قوله تعالى: (ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) [النحل: ٣٧]**

صورة بلاغية أخرى من بدائع القرآن الكريم، نراها تطل برأسها من هذه الآية الكريمة، وهي الأسلوب البديع الذي ورد في عجز الآية الكريمة، وهو مقابلة الجمع بالجمع.

---

١ – من أسرار البلاغة في القرآن الكريم تأليف الدكتور محمود السيد شيخون، طبعة المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ١٩٧٧م، ص٨٥.

٢ – روح المعاني للألوسي ٣٦١/١٤.

٣ – التحرير والتنوير ٣٦١/٣.

وكما قال الزركشي: من أساليب القرآن الكريم وفنونه البليغة مقابلة الجمع بالجمع، تارة يقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا، كقوله تعالى: (وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً) [يوسف: ٣١]، وتارة يقتضي مقابلة ثبوت الجمع لكل واحد من آحاد المحكوم عليه، كقوله تعالى: (فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً) [النور: ٤]، وتارة يحتمل الأمرين فيفتقر ذلك إلى دليل يعين أحدهما. أ.هـ[١].

ونحن هنا نقول: إن في هذه الآية هذا الأسلوب الراقي، حيث نفت الآية الكريمة أن يكون لأحد منهم أي ناصر، فكل واحد منهم منفي وجود ناصره، وقد أشار إلى هذا المعنى البديع الإمام أبو السعود في تفسيره[٢]، والألوسي في روح المعاني قال: (ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) ينصرونهم في الهداية، أو يدفعون العذاب عنهم، وهو تتميم بإبطال ظن أن آلهتهم تنفعهم شيئا، وضمير "لهم" عائد على معنى "مَنْ"، وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير، فإن مقابلة الجمع بالجمع تفيد انقسام الآحاد على الآحاد، لا لأن المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم[٣]، فانظر إلى بلاغة القرآن العالية، لتدرك أنه ليس من كلام البشر.

---

١ – البرهان في علوم القرآن ٥٢٣/٤.

٢ – إرشاد العقل السليم ٣٦١/٣.

٣ – روح المعاني للألوسي ١٤٠/١٤.

**الصورة السابعة: التتميم الواقع في قوله تعالى: (ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) [النحل: ٣٧]**

من ألوان البلاغة العالية السامية الراقية ما يسمى بالتتميم، والذي وقع في هذه الجملة الكريمة من الآية الكريمة، وقد عرفه العلماء بأنه تفعيل، من قولهم تممه إذا أكمله، وهو في مصطلح علماء البيان تقييد الكلام بفضلة لقصد المبالغة، أو للصيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقويم الوزن، وهذه هي أقسامه الثلاثة[١].

قلت: وقد وقع التتميم هنا للمبالغة في نفي النصير لهؤلاء في حال الضلالة، أو في دفع العذاب عنهم.

وقد أبان الإمام الألوسي عن هذه الصورة البلاغية البديعة فقال: (ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) ينصرونهم في الهداية، أو يدفعون العذاب عنهم، وهو تتميم بإبطال ظن أن آلهتهم تنفعهم شيئا[٢].

---

[١] – الطراز ١٠٤/٣، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٨٨/٢.

[٢] – روح المعاني للألوسي ١٤٠/١٤.

## المبحث الرابع: الصور البلاغية في الحديث عن إنكار المشركين للبعث

**الصور البلاغية في الآية الثامنة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وعْداً عَلَيْهِ حَقاً ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٣٨]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما ذكر الله تعالى حجتهم وقولهم أنه لا حاجة إلى الأنبياء جميعا، لأنهم مجبورون فيما يفعلون، ورد عليهم بأن الحاجة إليهم إنما هي تبليغ ما أمر به، وترك ما نهي عنه، ولا يلزمون أحدا بإيمان ولا كفر، أردف هذا بشبهة أخرى لهم، إذ قالوا إنما نحتاج إلى الأنبياء إن كان لنا عودة إلى حياة جديدة بعد الموت فيها ثواب وعقاب، ولكن العودة إلى حياة أخرى غير ممكنة ولا معقولة، فرد الله تعالى عليهم ما قالوا بأن هذا ممكن، وقد وعد عليه وعدا حقا، وأنه فعل ذلك ليميز الخبيث من الطيب، والعاصي من المطيع، فليس لقدرته دافع ولا مانع[1]، فقال عز وجل: (وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى ....) [النحل: ٣٨].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

من الصور الجليلة التي وقعت في هذه الآية الكريمة:

[1] – حدائق الروح والريحان ٩٤/١٥، تفسير المراغي للعلامة أحمد مصطفى المرغي، طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ= ١٩٤٦م ، ٨٢/١٤.

**الصورة الأولى: جمال الوصل الماثل لذي عينين في قول الله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) [النحل: ٣٨]** وقع من صور البلاغة الراقية في هذه الآية الكريمة جمال الوصل بحرف العطف الواو لسر جليل، هو التوسط بين الكمالين، كمال الاتصال وكمال الانقطاع، حيث اشتركت الجملتان هذه والمعطوفة عليها وهي قول الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) [النحل: ٣٥] في الخبرية، فكلتاهما تخبر عن حال من أحوال الكافرين، ولذا حسن العطف بينهما.

قال الإمام الزمخشري: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ) معطوف على (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا)، إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدونا، توريك ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه[١].

وقال الإمام أبو السعود: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ) مشروع في بيان فن آخر من أباطيلهم، وهو إنكار البعث[٢].

**الصورة الثانية: الاستعارة المكنية في قوله تعالى: (بَلَى وعْداً عَلَيْهِ حَقاً) [النحل: ٣٨]**

إن المتأمل لهذه الصياغة القرآنية الفريدة، المتذوق لجمالها، يرى أنها اشتملت على سر خفي يعجز عن الإتيان بمثله البشر، مهما أوتوا من قوة البيان، ومهما برعوا في صناعة الكلام.

---

[١] – الكشاف للزمخشري ٣/٤٣٦.

[٢] – إرشاد العقل السليم ٣/٣٦٢.

هذا السر هو الاستعارة المكنية في قول الله تعالى: (وعْداً عَلَيْهِ حَقاً)[1]. حيث شبه الله تعالى فيها وعده الخلائق بالبعث بالحق الواجب عليه، ثم حذف المشبه به وأقام المشبه مكانه، ثم تناسى التشبيه، ثم أتى بشيء من لوازم المشبه به على جهة الاستعارة المكنية.

قال الطاهر بن عاشور: "عليه" صفة لـ"وعدا"، أي وعدا كالواجب عليه في أنه لا يقبل الخلف، وفي الكلام استعارة مكنية، شبه الوعد الذي وعده بمحض إرادته واختياره بالحق الواجب عليه، ورمز إليه بحرف الاستعلاء، و"حقا" صفة ثانية لـ"وعدا" والحق هنا بمعنى الصدق الذي لا يتخلف[2].

---

[1] – قال علماء البلاغة: الاستعارة هو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي، كقولك: رأيت أسدا تعني رجلا شجاعا، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه شبهه، لكنها أبلغ منه، لأننا ندعي فيها الاتحاد بين المشبه والمشبه به، وهذا قائم على تناسي التشبيه بالمرة، وهي تنقسم إلى عدة أقسام بعدة اعتبارات، فتنقسم باعتبار ذكر المشبه به، أو ذكر ما يخصه إلى قسمين: التصريحية هي ما صرح فها بلفظ المشبه به، المكنية هي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه. في البلاغة العربية علم البيان للدكتور محمد مصطفى هدارة، طبعة دار العلوم لعربية بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص٦٩، البلاغة الاصطلاحية للدكتور عبده عبد العزيز، طبعة دار الفكر العربي القاهرة ،ط٣، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م ،ص٦٢، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ص١٢٤، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ص٢٥٩.

[2] – التحرير والتنوير ١٥٤/١٤.

**الصور البلاغية في الآية التاسعة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى: (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) [النحل: ٣٩]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما بين الله سبحانه وتعالى أنه لابد من ذلك البعث لسبق الوعد به، بين حكمته بأمر مبين، أنه لا يسوغ تركه بوجه، وهو أنه لا يجوز في عقل عاقل أن أحدا ملكا فيما دونه يأمر عبيده بشيء ثم يمهلهم فلا يسألهم، ولا سيما إذا اختلفوا، ولا سيما إذا أدى اختلافهم إلى المقاطعة والمقاتلة، فكيف إذا كان حاكما؟ فكيف إذا كان حكيما؟ فكيف وهو أحكم الحاكمين؟ فقال معلقا بما دل عليه "بلى" "ليبين" أي فعله ووعد به، فهو يبعثهم ليبين "لهم" أي للناس، "الذي يختلفون" أي يوجد اختلافهم، "فيه" من البعث وغيره، "وليعلم الذين كفروا" أي جهلوا الآيات الدالة عليه، "أنهم كانوا" أي جبلة وطبعا، "كاذبين" أي عريقين في الكذب في إنكارهم للمعاد[1].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

مما لا شك فيه أن آيات الكتاب الكريم غاصة بالمعاني البلاغية، من بيان ومعان وبديع، فالقرآن الكريم في الطبقة العليا من الفصاحة والبلاغة، وفيما هو قابل من صفحات نظهر بعض هذه الصور قدر الوسع والطاقة:

[1] – نظم الدرر ١٦٢/١١.

**الصورة الأولى: التعريف بالموصولية في قول الله تعالى: (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) [النحل: ٣٩]**

جرت قواعد البلاغة على أن المسند إليه لابد أن يكون معرفة، لأنه المحكوم عليه، فينبغي أن يكون معينا ليكون الحكم مفيدا، والتعيين قد يكون بنفس اللفظ دون احتياج إلى قرينة خارجية وذلك كالتعريف بالعلمية، وقد يكون بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كتعريفه بالضمائر، وقد يكون بقرينة حسية كتعريفه باسم الإشارة، وقد يكون بنسبة معهودة كتعريفه بالأسماء الموصولة، وقد يكون بحرف وهو المعرف بأل، أو بإضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر، ولكل صورة من هذه الصور مقتضياتها التي تستدعيها[١].

من هنا جنحت الآية الكريمة إلى تعريف المسند إليه بالموصولية بغرض التفخيم والتعظيم.

قال الإمام أبو السعود في استجلاء هذه الصورة البلاغية: (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه، مما جاء به الشرع المبين، ويدخل فيه البعث دخولا أوليا، والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته، وللإشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين[٢]، وقد نقل الألوسي هذا المعنى وارتضاه[٣].

---

١ – المنار في علوم البلاغة تأليف عبد الحكيم حسن نعناع، طبعة مطابع الأهرام التجارية مصر ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص١١١.

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣٦٢/٣.

٣ – روح المعاني ١٤١/١٤.

**الصورة الثانية: الإظهار في موضع الإضمار في قول الله تعالى: (ولِيَعْلَمَ الَذِينَ كَفَرُوا) [النحل: ٣٩]**

كثيرا ما يجنح البلاغيون إلى وضع الظاهر موضع المضمر، حيث يقتضي الحال استخدام الضمير، ولكن لمقتضى بلاغي يضعون الظاهر مكان الضمير، فإن كان هذا الظاهر اسم إشارة فلأغراض بلاغية، وإن كان غير اسم إشارة كما هو الحال في هذه الآية الكريمة فلأغراض أخرى[١].

وقد جاءت الآية الكريمة من هذا الباب، حيث كان الحال يقتضي ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلموا أنهم كانوا كاذبين، ولكن لما للقرآن الكريم من بلاغة سامقة، جاء التعبير القرآني (ولِيَعْلَمَ الَذِينَ كَفَرُوا) بوضع الظاهر بدلا من الضمير، وذلك لزيادة تمكنه في ذهن السامع اعتناء بشأنه، فالمقصودون بالعلم هم في المقام الأول.

وقد أشار الإمام الألوسي إلى هذه الصورة بقوله: وخص الإسناد بهم حيث لم يقل: وليعلموا أن الذين كفروا كانوا كاذبين تنبيها على أن الأهم علمهم، وقيل: لم يقل ذلك لأن علم المؤمنين بما ذكر حاصل قبل ذلك أيضا، وتعقب بأن حصول مرتبة من مراتب العلم لا يأبى حصول مرتبة أعلى منها، فلما لم يقل ذلك إيذانا بحصول هذه المرتبة من العلم لهم حينئذ، ولعل فيه غفلة عن مراد القائل، وجوز أن يراد من علم الكفرة بأنهم كانوا كاذبين تعذيبهم على كذبهم، فكأنه قيل: ليظهر المؤمنين والكافرين الحق، وليعذب الكافرين على كذبهم فيما كانوا يقولونه من أنه تعالى لا يبعث من يموت ونحوه، وهذا كما

---

[١] – المنار في علوم البلاغة ص١٥٢.

يقال للجاني: غدا تعلم جنايتك، وحينئذ وجه تخصيص الإسناد به ظاهر، وهو كما ترى[١].

وإلى هذه الصورة البلاغية أشار أبو السعود في إرشاد العقل السليم أيضا[٢].

**الصورة الثالثة: التعريض بالعذاب المستفاد من قوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) [النحل: ٣٩]**

لا يرتاب عاقل بصير بفنون البلاغة العربية، حين يقرأ هذه الجملة الكريمة من سورة النحل، أن ثمت تعريض ماتع في قوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) إذ ليس المقصود يوم القيامة أن يعلمهم الله تعالى بكذبهم وفقط، وإنما المقصود التعريض لهم بالعذاب [٣].

---

١ – روح المعاني للألوسي ١٤٢/١٤.

٢ – إرشاد العقل السليم ٣٦٣/٣.

٣ – التعريض في اللغة: خلاف التصريح، وعند علماء البلاغة: هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج، وليس في يدي شيء، والبرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض، وسمي تعريضا لأن المعنى باعتباره يعرف من عرض اللفظ، ويسمى التلويح لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده، وكأن الكلام قد أطلق وأشير إلى معنى آخر يفهم من السياق. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري ، تقديم أحمد الحوفي، د. بدوي طبانه، طبعة دار نهضة مصر القاهرة، بدون ٥٦/٣، البرهان للزركشي ٣١١/٢، الإتقان للسيوطي ١٥٦٣/٤، تحقيق ودراسة كتاب التحبير في علم التفسير للحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، رسالة ماجيستير للطالب زهير عثمان علي نور، إشراف د.محمد شوقي خضر ١٤٠٤هـ= ١٩٨٣م، ص٣٠٨.

وقد أشار إلى هذه الصورة البلاغية الماتعة الإمام الطاهر بن عاشور، قال في التحرير والتنوير: (كَانُوا كَاذِبِينَ) أقوى في الوصف بالكذب من كذبوا أو كاذبون، لما تدل عليه من الوجود، زيادة على ما يقتضيه اسم الفاعل من الاتصاف، فكأنهم قيل: وجد كذبهم ووصفوا به، وكذبهم يستلزم أنهم معذبون عقوبة على كذبهم، ففيه شتم صريح، وتعريض بالعقاب[1].

فانظر إلى بلاغة القرآن، وما فيه من ألوان الأدب والجمال، مما لا يستقل به بيان، ويعجز عن وصفه مهرة صناع الكلام.

[1] – التحرير والتنوير ١٤/١٥٥.

**الصور البلاغية في الآية الأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [النحل: ٤٠]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما تقدم إنكارهم، وأكدوا ذلك بالحلف بالله الذي أوجدهم، ورد الله تعالى عليهم، بأن بين تحتمه وحكمته بقوله: "بلى" وذكر حقيقة وعده بذلك، أوضح سبحانه وتعالى أنه متى تعلقت إرادته بوجود شيء أوجده، وقد أقروا بأنه تعالى خالق هذا العالم سمائه وأرضه، وأن إيجاده ذلك لم يوقف على سبق مادة ولا آلة، فكما قدر على الإيجاد ابتداء وجب أن يكون قادرا على الإعادة، فقال تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [النحل: ٤٠][1].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

الذي يقرأ هذه الآية الكريمة بتدبر وإمعان، يجد أنها اشتملت على كثير من صنوف البلاغة والبيان، وها نحن الآن نكشف لك النقاب عن بعض هذه الصور:

**الصورة الأولى: أسلوب القصر في قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [النحل: ٤٠]**

سبق أن تحدثنا في الصورة الخامسة من الآية الخامسة والثلاثين عن أسلوب القصر، وعرفناه هناك بما يغني عن إعادته هنا[2].

---

[1] – البحر المحيط لأبي حيان ٤٤٧٦/٥، نظم الدرر للبقاعي ١٦٣/١١.

[2] – سبق في صفحة من هذا البحث

والآية التي نحن بصددها الآن يتمثل فيها أسلوب القصر أيما تمثل، ويعطي معنى ما كان سيكون بغير القصر، وذلك بأن قصرت الآية الكريمة وقوع تكوين أي شيء بمجرد صدور الأمر إليه، وهذا مظهر لقدرة الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، عكس ما تصور المشركون، والقصر الواقع هنا قصر القلب، ويكون هذا القصر إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم فتقلب عليه اعتقاده، نحو ما شاعر إلا شوقي، ردا على من زعم أن غيره أشعر منه، وهناك قصر آخر يسمى قصر الإفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة بين شيئين فأكثر، مثل: (إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِد) [النساء: ١٧١] ردا على من اعتقد أن الله ثالث ثلاثة، والنوع الثالث يسمى قصر التعيين إذا كان المخاطب مترددا في الحكم نحو: ما شاعر إلا شوقي، ردا على من تردد في إثبات الشعر له ولبعض الشعراء الآخرين[١].

وقد أماط اللثام عن هذه الصورة البلاغية الإمام الطاهر بن عاشور، قال في التحرير والتنوير: وأفادت "إنما" قصرا هو قصر وقوع التكوين على صدور الأمر به، وهو قصر قلب، لإبطال اعتقاد المشركين تعذر إحياء الموتى، ظنا منهم أنه لا يحصل إلا إذا سلمت الأجساد من الفساد كما تقدم آنفا، فأريد به (قَولُنَا لِشَيءٍ) تكويننا شيئا أي تعلق القدرة بخلق شيء، وأريد بقوله: (إِذَا أَرَدْنَاهُ) إذا تعلقت الإرادة الإلهية تعلقا تنجيزيا، فإذا كان سبب التكوين ليس زائدا على قول كن فقد بطل تعذر إحياء الموتى، ولذلك كان هذا قصر قلب لإبطال اعتقاد المشركين[٢].

---

[١] – علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ص١٥٦، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٥٣٨/١، التلخيص في علوم البلاغة ص١٣٨.

[٢] – التحرير والتنوير ١٥٦/١٤.

**الصورة الثانية: بلاغة المجاز المرسل الواقع في قول الله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ)**

وقع المجاز في لغة العرب كثيرا حتى صار أكثر استعمالا من الحقائق، وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائق، ولفظ فائق، واشتد باعهم في إصابة أغراضه فأتوا فيه بالخوارق، ولأن القرآن الكريم نزل على لغة العرب فقد شارك العرب أساليبهم وأعجزهم فيها، لذا حصل منهم التسليم له.

والآية التي نحن بصدد الحديث عنها اشتملت على مجاز مرسل، في قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ)، والمجاز المرسل هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لملاحظة علاقة بين الثاني والأول، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، فالعلاقة إذا كانت غير المشابهة كان مجازا مرسلا، وإن كانت العلاقة المشابهة كان استعارة، وهو ضرب من ضروب التوسع في أساليب اللغة، وفن من فنون الإيجاز في القول[1].

وقد ذكر جمع من المفسرين هذه الصورة البلاغية في كتبهم، قال العلامة الشنقيطي: وعبر تعالى عن المراد قبل وقوعه باسم الشيء، لأن تحقق وقوعه كالوقوع بالفعل، فلا تتأتى الآية إطلاق الشيء على خصوص الموجود دون المعدوم، لأنه لما سبق في علم الله أنه يوجد ذلك الشيء وأنه يقول له كن فيكون، كان تحقق وقوعه بمنزلة وقوعه، أو لأنه أطلق عليه اسم

[1] – الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ص١٨.

الشيء باعتبار وجوده المتوقع، كتسمية العصير خمرا في قوله تعالى: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) [يوسف: ٣٦]، نظرا إلى ما يؤول إليه في ثاني الحال[١].

وقال الإمام الرازي في فتح الرحمن قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ....) [النحل: ٤٠] إن قلت هذا يدل على أن المعدوم شيء، وعلى أن خطاب المعدوم جائز، مع أن الأول منتف عند أكثر العلماء، والثاني بالإجماع، قلت: أما تسميته شيئا فجاز بالأول، وأما الثاني فلأن ذلك خطاب تكوين لا خطاب إيجاد، فيمتنع أن يكون المخاطب به موجودا قبل الخطاب لأنه إنما يكون بالخطاب[٢].

وإلى ما سبق أشار الطاهر بن عاشور، والشيخ طنطاوي، كل في تفسيره[٣].

---

[١] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي ت١٣٩٣هـ، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد، طبعة دار عالم الفوائد السعودية، ط١ ١٤٢٦هـ، ٣/٣٣٠.

[٢] – فتح الرحمن بكشف ما تلبس من القرآن للإمام الشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، طبعة دار القرآن الكريم مكة المكرمة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م، ص٣٠٥.

[٣] – التحرير والتنوير ١٥٦/١٤، التفسير الوسيط ١٥٢/٨.

## المبحث الخامس: الصور البلاغية في الحديث عن جزاء المؤمنين الصادقين

**الصور البلاغية في الآية الحادية والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٤١]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن عرضت السورة الكريمة لأقاويل المشركين من إنكار البعث، ونفي التبعة من عبادة غير الله، وتحريم ما أحله الله، وردت عليهم، أتبعت ذلك بذكر جانب من الثواب العظيم الذي أعده الله سبحانه للمؤمنين الصادقين، الذين فارقوا الدار والأهل والخلان من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فقال سبحانه: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٤١].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

إن من أوتي حظا وافرا من الذوق الأدبي، والقريحة الصافية، والحس المرهف، يدرك أن هذه الآية الكريمة تكاد تفيض بالمعاني البلاغية الحلوة الجذابة، وفي الصفحات الآتية شيء من هذا.

**الصورة الأولى: استعمال كلمة "في" في التعليل في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّه) [النحل: ٤١].**

في هذه الجملة الكريمة من الآية التي نحن بصددها، نجد أن البلاغة قد تجسدت في الحرف "في" المستعمل في هذه الآية الكريمة لمعنى جليل، وهو

التعليل مع ما أفاده مجيء هذا الحرف من إيجاز، ولو لم يأت هذا الحرف لكانت الجملة القرآنية: والذين هاجروا في سبيل الله أو شيء من هذا القبيل.

ولفظ "في" حرف من حروف المعاني، ذكر له البلاغيون تسعة معاني يستعمل فيها في القرآن الكريم، ومنها التعليل كما في هذه الآية، وكما في قول الله تعالى: (فَذَلِّكُنَّ الذِّي لُمْتُنَنِي فِيه) [يوسف: ٣٢] أي في حبه ومراودته عن نفسه، ومثل قوله تعالى: (لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُم) [الأنفال: ٦٨] أي من الغنائم في يوم بدر[١].

قال الشيخ طنطاوي: وقوله: "في الله" أي في سبيله، ومن أجل نصرة دينه، فحرف"في" مستعمل في التعليل، كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دخلت امرأة النار في هرة حبستها ..... الحديث"[٢]، والمقصود أن هذا الأجر الجزيل إنما هو للمهاجرين من أجل إعلاء كلمة الله، ومن أجل

---

[١] – الجني الداني في حروف المعاني للحسن بن القاسم المرادي ت٧٤٩هـ، تحقيق د.فخر الدين قباوة، د. محمد نديم فاضل، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م، ص٢٥٠، الإتقان للسيوطي ١١٣١/٣، البرهان للزركشي ٣٠٢/٤.

[٢] – الحديث أخرجه الإمام أبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت٢٥٦ في صحيحه الموسوم بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، باب خمس من الفواسق يقتلن في الحرم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢، ١٣٠/٤، ح٣٣١٨، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت٢٦١ في صحيحه الموسوم بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ط دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢١١٠/٤ح٢٦١٩.

نصرة الحق، وليس لمن هاجر لنشر الظلم أو الفساد في الأرض[١]، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الألوسي أيضا في تفسيره[٢].

فانظر كيف يؤدي الحرف الواحد في كتاب الله تعالى العديد من المعاني التي يعجز عنها الألباء.

**الصورة الثانية: المجاز بالحذف في قول الله تعالى: (والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) [النحل: ٤١]**

تتزاحم المعاني اللغوية على جمل وكلمات القرآن الكريم تزاحما عجيبا؛ فربما جمعت الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة العديد من الصور البلاغية، وهذا ماثل أمامنا في هذه الآية الكريمة في قول الله تعالى: (والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ)، حيث اشتملت هذه الجملة القرآنية البديعة – إضافة إلى ما تقدم – على المجاز بالحذف، والتقدير: والذين هاجروا في سبيل الله، أو في دين الله، أو في طاعة الله؛ ولا يتأتى هذا إلا للقرآن الكريم الذي جمع من المعاني فأوعى، ولم يخبط خبط عشوا، ففرق بين الدقيق والركيك، وبين الزلال والزعاق.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه الماتع الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: وفي هذه الآية مجاز بالحذف في قوله تعالى: (والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) أي: الذين هاجروا في سبيل الله، أو في طاعة الله[٣].

---

[١] – التفسير الوسيط ١٥٤/٨.

[٢] –روح المعاني ١٤٤/١٤.

[٣] – الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام عز الدين بن عبد السلام ص١٦٤.

ولله در العلامة الشيخ محمود السيد شيخون حين يقول عن المفردة القرآنية: إذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الجمل القرآنية رأيتها تمتاز بميزات ثلاث رئيسية هي: ١- جمال وقعها في السمع.

٢- اتساقها الكامل مع المعنى.

٣- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات.

وقد نجد في تعابير بعض الأدباء والبلغاء كالجاحظ والمتنبي، كلمات تتصف ببعض هذه الميزات الثلاث، أما أن تجتمع كلها معا، وبصورة مطردة لا تتخلف أو تشذ فذلك مما لم يتوافر إلا في القرآن الكريم.

**الصورة الثالثة: بلاغة تأكيد الخبر في قول الله تعالى: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) [النحل: ٤١]**

كثيرا ما يخرج الكلام على غير مقتضى الظاهر لنكتة بلاغية جليلة فيخاطب المنكر بالخبر الخالي من التوكيد، أو يخاطب غير المنكر بالخبر المؤكد، وما هذا عبثا إنما هو كما قال العلماء: من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات، وإقرارها في أفئدتهم إقرارا ينتهي إلى الإقرار بها.

وقد استخدم القرآن الكريم التأكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقيدتهم، كما استخدمه أيضا لأسباب بلاغية ولطائف أدبية لا يتم المعنى المقصود إلا بها[١].

[١] – من أسرار البلاغة في القرآن الكريم للدكتور محمود شيخون ص٦٢، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٦٤١/٥.

وقد وقع في هذه الآية الكريمة أسلوب التوكيد لقصد تحقيق المخبر به، مع أن الملقى إليهم غير شاكين في تحقيقه.

قال الشيخ طنطاوي في إظهار هذه الصورة البلاغية: وأكد سبحانه الجزاء الحسن الذي وعدهم به باللام وثبوت التوكيد، "لنبوئنهم" زيادة في إدخال السرور والطمأنينة على قلوبهم، وجبرا لكل ما اشتملت عليه من مصاعب وآلام وأضرار، إذ الحسنة كما قلت تشمل كل حسن، أعطاه الله تعالى للمهاجرين في هذه الدنيا، أما في الآخرة فأجرهم أعظم وثوابهم أجزل، كما قال تعالى: (ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٤١][١].

**الصورة الرابعة: روعة الطباق الواقع في قوله تعالى: (والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) [النحل: ٤١]**

من الصور البلاغية الواقعة في هذه الآية الكريمة، المحسن البديعي البديع الذي هو الطباق[٢] بين لفظي "هاجروا" و"لنبوئنهم"، إن التبوءة ضد الهجرة، قال الرازي في مختار الصحاح: بوأ له منزلا، وتبوأ منزلا نزله، وبوأه منزلا هيأه ومكن له فيه[٣].

---

١ – التفسير الوسيط ١٥٤/٨.

٢ – الطباق محسن بديعي جليل يسميه البلاغيون "البديع" وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ، لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين، وسمي طباقا لأن من عادة العرب أنهم كانوا يعطون الألفاظ حكم الحقائق في نفسها توسعا، فسموا كل كلام جمع بين الضدين مطابقة. المثل السائر لابن الأثير ١٤٣/٣، الفلك الدائر على المثل السائر للعلامة عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ن٦٥٦هـ، تحقيق دكتور أحمد الحوفي، ود.بدوي طبانه، طبعة دار نهضة مصر القاهرة، طبع في ذيل المثل السائر لابن الأثير ٣٠٠/٤.

٣ – مختار الصحاح للرازي، مادة بوأ، ص٢٨.

وقد أبان الشيخ الطاهر بن عاشور عن هذا المحسن البديعي، فقال: وفي الجمع بين "هاجروا" و"لنبوئنهم" محسن الطباق، والمعنى لنجازينهم جزاء حسنا، فعبر عن الجزاء بالتبوءة، لأنه جزاء على ترك المباءة[١].

**الصورة الخامسة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ) [النحل: ٤١].**

وقع في هذه الآية الكريمة من فنون البلاغة – فوق ما تقدم – روعة الإيجاز بالحذف في موضعين، في قوله تعالى: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً)، وفي قوله تعالى: (ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ)، وكان السياق يقتضي لنبوئنهم في الدنيا مباءة حسنة، ولأجر أعمالهم المذكورة في الآخرة أكبر.

وقد أبان عن هذه الصورة الإمام الألوسي في تفسيره، قال: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) أي: مباءة حسنة، وحاصله لننزلهم في الدنيا منزلا حسنا، وعن الحسن: دارا حسنة، فحسنة صفة محذوف منصوب نصب الظروف[٢]، (ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ) أي: أجر أعمالهم المذكورة في الدار الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا[٣].

وأشار إلى ذلك الإمام أبو السعود في تفسيره أيضا[٤].

---

١ – التحرير والتنوير ١٥٨/١٤.

٢ – روح المعاني للألوسي ١٤٥/١٤ باختصار.

٣ – روح المعاني ١٤٦/١٤.

٤ – إرشاد العقل السليم ٣٦٤/٣، ٣٦٥.

**الصورة السادسة: الإيجاز بالحذف في قول الله تعالى: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٤١]**

قد يقع الإيجاز بالحذف، فيحذف من الجملة كلمة أو كلمتان أو جملة أو جملتان، كما يحذف في القرآن الكريم جواب لو، ولولا، ولما، وإذا، ويورث هذا الحذف الكلام قوة وشدة أسر بما يشتمل عليه من الأسرار واللطائف[١].

وفي هذه الآية الكريمة حذف جواب لو، في قوله تعالى: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٤١] للاختصار، ولدعوة هؤلاء إلى الرغبة في هذا الأجر الكبير الذي أعده الله للمتقين المهاجرين.

قال العلامة النسفي: قوله : (ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ) الوقف لازم عليه، لأن جواب (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) محذوف، والضمير للكفار، أي: لو علموا ذلك لرغبوا في الدين، أو للمهاجرين أي: لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم[٢]، فالضمير في (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) إما أن يكون للكفار أي لو علموا لأقلعوا عن كفرهم، وإما أن يكون للمهاجرين أي: لو كانوا يعلمون علم مشاهدة ومعاينة ما أعده الله لهم لما حزنوا على مفارقة الأوطان والأولاد والأموال، ولازدادوا حبا وشوقا واجتهادا في المهاجرة، أو للمتخلفين عن الهجرة أي: لو علم هؤلاء ما أعده الله سبحانه وتعالى من أجر للهاجرين ما تخلفوا عن ذلك، ولا مانع من عود الضمير على كل من يتأتى له العلم بهذا الثواب الجليل لهؤلاء المهاجرين في سبيل الله[٣].

---

١ – من أسرار البلاغة في القرآن الكريم ص٥٥.

٢ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي١٢٧/٣.

٣ – التفسير الوسيط ١٥٤/٨ بتصرف، روح المعاني للألوسي ١٤٦/١٤.

**الصور البلاغية في الآية الثانية والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (الَّذِينَ صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل: ٤٢]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى حال المهاجرين، وأن الله تعالى أعد لهم الأجر الجزيل في الدنيا، ثم يوم القيامة أجرهم أوفر وأعظم، أتبع ذلك سبحانه بذكر وصفين من أوصافهم، الصبر والتوكل، فقال تعالى: (الَّذِينَ صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أي: أن هذا الأجر أعده الله تعالى لهؤلاء المهاجرين الذين صبروا على ما أصابهم من عدوان وظلم، وعلى مفارقة الوطن، لا سيما حرم الله تعالى المحبوب لكل قلب مؤمن، وفوضوا أمرهم إلى خالقهم سبحانه وتعالى، ولم يعتمدوا على أحد سواه[١].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

الذي ينظر إلى هذه الآية الكريمة، وقد أوتي عقلا بصيرا، وفكرا ثاقبا، ووعيا بلاغيا، يدرك أن هذه الآية الكريمة على قصرها اكتنفتها المعاني البلاغية من كل ناحية، وفي السطور الآتية بيان لبعض هذه الصور قدر الوسع والطاقة:

**الصورة الأولى: التعريف بالموصول في قوله تعالى: (الَّذِينَ صَبَرُوا) [النحل: ٤٢]**

---

[١] – التفسير الوسيط ١٥٥/٨، النهر الماد من البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي، تقديم وضبط بوران وهديان الضيان، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ٢٤٧/٢.

كثيرا ما يأتي في القرآن الكريم التعريف بالموصول، وذلك لنكت بلاغية مفيدة مثل تعظيم شأن القضية، كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) والَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) والَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ) [المؤمنون: ٥٧- ٥٩]،فهذا وارد على جهة تعظيم القضية كما ترى[١]، وهذه الآية من هذا القبيل، حيث صدرت بالتعريف بالموصولية لبيان عظمة القضية الذين هم فيها، فهم قد كابدوا السفر، وتحملوا المشاق والمتاعب والآلام في سبيل الله تعالى، صبرا واحتسابا للأجر، وتوكلوا على ربهم حق التوكل؛ وهو معنى لطيف لا يتأتى إلا بهذه الصيغة التي صدرت بها الآية الكريمة، فلو قال: المهاجرون أو المتوكلون لما أنتجت هذا المعنى.

**الصورة الثانية: جمال الفصل الواقع في قوله تعالى: (الَّذِينَ صَبَرُوا) [النحل: ٤٢]**

قال أصحاب البلاغة: من حق الجمل إذا ترادفت ووقع بعضها في إثر بعض أن تربط بالواو، لتكون متسقة منتظمة، وقد يعرض لها ما يوجب ترك الواو، ويسمى ذلك فصلا ويكون في أحوال منها:

كمال الاتصال وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وامتزاج معنوي حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، وهذا يكون في أحوال منها:

كون الجملة الثانية أوفى بالمطلوب من الأولى، والمقام يستدعي عناية بشأن المراد.

---

[١] – من أسرار البلاغة في القرآن الكريم ص٨١.

قلت: وقد وقع كمال الاتصال هذا في هذا الموضع بين هذه الآية الكريمة (الَذِينَ صَبَرُوا) [النحل: ٤٢]، وبين قوله تعالى: (والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) [النحل: ٤١] وقعت الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى، أو نعتا، أو بيانا، وكلها تعطي الاتحاد التام والامتزاج الكامل، لذا وجب الفصل، والله أعلم.

**الصورة الثالثة: أسلوب القصر في قوله تعالى: (وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل: ٤٢]**

يستفاد هذا المعنى البلاغي من تقديم الجار والمجرور، والذي هو أحد طرق القصر، وفي هذا من الاختصاص ما فيه، حيث قصرت الآية التوكل من هؤلاء المؤمنين على ربهم فقط، ولأنه لا يشاركهم فيه غيره، تقدم الجار والمجرور (عَلَى رَبِّهِمْ) يعني لا على غيره يتوكلون.

قال السخاوي: وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: (وَعَلَى رَبِّهِمْ) للاختصاص[١].

وقال الطاهر بن عاشور: وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) للقصر[٢].

وقد أبان العلامة أبو السعود عن فائدة القصر في هذه الآية في تفسيره، فقال: (وَعَلَى رَبِّهِمْ) خاصة (يَتَوَكَّلُونَ) منقطعين إليه تعالى، معرضين عما سواه، مفوضين إليه الأمر كله، والجملة إما معطوفة على الصلة، وتقديم

---

١ – تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٤٥٥/١.

٢ – التحرير والتنوير ١٦٠/١٤.

الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى، وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل، أو حال من ضمير (صَبَرُوا)[١].

**الصورة الرابعة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [النحل: ٤٢]**

وقعت هذه الصورة البلاغية في قوله تعالى: (وَعَلَى رَبِّهِمْ) وكان السياق يقتضي: وعلى رزق ربهم ، ولكن بلاغة القرآن الكريم اقتضت حذف المضاف اختصارا واعتمادا على فطنة السامع، وتوجها إلى القضية المراد الحديث عنها رأسا، وهي قضية التوكل على الله تعالى.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه الماتع الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: قوله تعالى: (الَذِينَ صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أي: وعلى رزق ربهم يتوكلون[٢]، وعد هذه الآية الكريمة من أمثلة المجاز بالحذف في القرآن الكريم ضمن سورة النحل.

**الصورة الخامسة: التلوين في الخطاب باستخدام الماضي والمضارع في قوله تعالى: (الَذِينَ صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).**

أسلوب آخر من أساليب القرآن الكريم الرصينة العالية، التي يتذوقها كل ذواق للتصوير الفني في القرآن الكريم، وهو أسلوب التلوين في الخطاب، وعدم جريه على وتيرة واحدة.

---

[١] – إرشاد العقل السليم ٣/٣٦٥.

[٢] – الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ص١٦٤.

وفي هذه الآية الكريمة لون من هذا، حيث عبر القرآن الكريم في جانب الصبر بالفعل الماضي، وفي جانب التوكل عليه بالفعل المضارع، وما هذا إلا لنكتة بلاغية تضفي على المعنى بهاء ورونقا.

قال الشيخ طنطاوي رحمه الله في إظهار هذا المعنى: وعبر عن صفة الصبر بصيغة الماضي للدلالة على أن صبرهم قد آذن بالانتهاء ولانقضاء أسبابه، وهو ظلم أعدائهم لهم، لأن الله تعالى قد جعل لهم مخرجا بالهجرة، وذلك بشارة لهم، وعبر عن صفة التوكل بالمضارع، للإشارة إلى أن هذه الصفة ديدنهم في كل وقت، فهم متوكلون عليه سبحانه وحده في السراء والضراء، وفي العسر واليسر، وفي المنشط والمكره[١].

وقد أشار إلى هذا المعنى في تفسيره الإمام أبو السعود، والإمام الألوسي[٢]، فانظر إلى القرآن الكريم في ملائمة ألفاظه لمعانيه، وائتلاف نصه مع فصه، فألفاظه نادرة الوجود، ومعانيه مستوفية المقصود.

---

[١] – التفسير الوسيط ١٥٥/٨.

[٢] – إرشاد العقل السليم ٣٦٥/٣، روح المعاني للألوسي ١٤٦/١٤.

## المبحث السادس: الصور البلاغية في الحديث عن بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل

**الصور البلاغية في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

تتوالى الآيات الكريمة في سورة النحل، آية تلو آية، كل آية أو بضع آيات تحمل ردا على شبهة من شبهاتهم، فبعد أن بين الله تعالى خطأهم في الاحتجاج بالمشيئة، وبين خطأهم في إقسامهم على عدم مجيء البعث، تولى الله تعالى الرد عليهم في قولهم: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فوجه الله تعالى أنظارهم إلى سؤال أهل الذكر في ذلك من أحبار اليهود والنصارى على أظهر الأقوال، عساهم أن يعلموا الحق، فقال تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٣][1].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

لا شك أن هذه الآية الكريمة كسائر كتاب الله غاصة بالمعاني البلاغية، وها نحن ذا نميط اللثام عن بعض هذه الصور، ونكشف النقاب عن بعض هذه البديعيات:

---

[1] – انظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، بدون، ٣١٠/٢، روح المعاني للألوسي ١٤٦/١٤.

**الصورة الأولى: بلاغة القصر الواقع في قوله الله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً) [النحل: ٤٣]**

وطريقه هنا النفي والاستثناء ليتمكن في النفس، فبعد أن نفى الخبر كاملا أثبت ما أراد إثباته، ليتمكن في النفس أيما تمكن، وهو هنا فصل القلب، الذي يساق ليقلب على المخاطب اعتقاده، وقد سبق تعريفه في الصورة الأولى من الآية الأربعين[١].

ففي هذه الآية الكريمة رد الله تعالى اعتقاد المشركين عدم إرسال الرسل من البشر بصورة القصر، التي حصرت الرسالة في البشر بعد أن نفتها عما عداهم.

قال الطاهر: وصيغة القصر لقلب اعتقاد المشركين وقولهم: (أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً" [الإسراء: ٩٤]، فقصر الإرسال على التعلق برجال موصوفين بأنهم يوحى إليهم[٢].

**الصورة الثانية: الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع**

صورة بديعة من الصور البلاغية في الآية الكريمة تتعلق بأسلوب الخطاب الموجه في القرآن الكريم، وصوره تعدت الثلاثين صورة هذه إحداها، وهي خطاب الشخص ثم العدول إلى خطاب غيره، وهي من بلاغة القرآن الكريم على ما ذكر السيوطي في الإتقان[٣].

---

١ – سبق في صفحة من هذا البحث.

٢ – التحرير والتنوير ١٦١/١٤.

٣ – الإتقان للسيوطي ١٥٠٠/٤.

وهذا الأسلوب البلاغي يجنح إليه لنكتة بلاغية، هي هنا تمثلت في التقريع والتوبيخ الواقع على نفوس الكافرين المنكرين لبعثة الأنبياء رجالا، فيكون أوقع في نفوسهم إذا وجه الكلام إليهم.

قال الطاهر: ثم أشهد على المشركين شواهد الأمم الماضية، وأقبل عليهم بالخطاب توبيخا لهم، لأن التوبيخ يناسبه الخطاب لكونه أوقع في نفس الموبخ، فاحتج عليهم بقوله: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٢]،فهذا احتجاج بأهل الأديان السابقين أهل الكتب اليهود والنصارى والصابئة[١].

ولله در العلامة الزركشي في البرهان حين حرر النزاع في هذا القسم من الأساليب البلاغية فضمه إلى الالتفات، قال: ومما يقرب من الالتفات الانتقال من خطاب الواحد، والاثنين، والجمع، إلى خطاب آخر، وهو ستة أقسام كالالتفات[٢].

قلت: فهذا الأسلوب الواقع في هذه الآية من هذا القبيل، والله أعلم.

قال الإمام الألوسي: ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب إليهم، فقيل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) [النحل: ٤٢][٣].

---

[١] – التحرير والتنوير ١٤/١٦١.

[٢] – البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٣٣٤.

[٣] – روح المعاني للألوسي ١٤/١٤٧.

**الصورة الثالثة: تغيير الكلام من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ....) [النحل: ٤٣]**

من الأساليب التي وقعت في هذه الآية من فنون البلاغة الراقية، أسلوب يقرب من الالتفات كما ذكرت في الصورة السابقة، وهو تغيير الخطاب من لون إلى آخر، وقد وقع واضحا جليا، فبعد أن كانت السورة الكريمة تتناول الحديث عن الكفار بصيغة الغائب، من قوله تعالى: (فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ....) [النحل: ٢٢]، وجهت الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة.

وقد ذكر هذه الصورة البلاغية وأبان عنها صاحب التحرير والتنوير، فقال: وقد غير أسلوب نظم الكلام هنا بتوجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد أن كان جاريا على أسلوب الغيبة، ابتدأ من قوله تعالى: (فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ) [النحل: ٢٢]، وقوله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا) [النحل: ٣٥] تأنيسا للنبي عليه الصلاة والسلام، لأنه فيما مضى من كلام آنفا حكاية تكذيبهم إياه تصريحا وتعريضا، فأقبل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب، لما في هذا الكلام من تنويه منزلته بأنه في منزلة الرسل الأولين عليهم الصلاة والسلام، وفي هذا الخطاب تعريض بالمشركين، ولذلك التفت إلى خطابهم بقوله: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) [النحل: ٤٣][1].

[1] – التحرير والتنوير ١٤/١٦٠.

**الصورة الرابعة: خروج الشرط على غير مقتضى الظاهر في قوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ).**

المقصود من الجملة الشرطية في اللغة العربية إنما هو النسبة التي يدل عليها الجزاء، سواء أكانت خبرية أو إنشائية، والشرط قيد لها وسبب فيها، لا يغيرها عن حالها الأولى من الخبرية أو الإنشائية، وقد خرج بدخول الأداة عن كونه خبرا يحتمل صدقا وكذبا، فقولك: إن نجحت أكافئك معناه أكافئك حين نجاحك، وقولك: إن جاء محمد فأكرمه أي أكرمه وقت مجيئه، وتستعمل "إن" عند عدم جزم المتكلم بحصول الشرط في المستقبل، أما "إذا" فتستعمل في كل ما يجزم المتكلم بوقوعه في الزمن المقبل[1].

وقد يخرج الشرط عن مقصوده في كتاب الله تعالى لنكتة بلاغية، كما إذا استعملت "إن" في موقع "إذا" أو العكس، وقد وقعت في هذه الآية الكريمة "إن" حيث كان الأولى وقوع "إذا" وذلك لبلاغة القرآن الكريم السامقة الفخيمة. وإلى هذا يشير الإمام الشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي فيقول: الأصل في الشرط الذي تعلق به الحكم بكلمة "إن" أن يكون محتمل الوقوع، وقد استعملت هنا في أمر معلوم مقطوع به، لأن الكلام مع قريش، لقول المفسرين إن هذه الآية رد لقول قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، ولا شك أن قريشا لم يكونوا من علم البينات والزبر في شيء، فالمقصود من تعليق السؤال بهذا الشرط التبكيت والإلزام، أي لا ارتياب في أنكم غير عالمين بالبينات والزبر، واحتمال عدم علمكم يستلزم السؤال، فكيف إذا كنتم غير عالمين بها ألبتة، ولستم أيضا ممن يسألون منهم لأنكم تعلمون أنهم لا يجيبونكم إلا بما ذكرنا من أنا ما أرسلنا من قبل هذا الرسول إلا رجالا يوحى

[1] –علوم البلاغة للهاشمي ص١٣٤.

إليهم، فلم يبق لهم طريق سوى التسليم والإذعان، وعليه قول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي[١].

وقد أشار الشيخ طنطاوي إلى هذا المعنى في تفسيره[٢].

**الصورة الخامسة: أسلوب الاعتراض للمبادرة إلى التوبيخ**

سبق أن ذكرنا أن الاعتراض لون جليل من ألوان بلاغة البديع اللفظية، فهو محسن لطيف يضفي على اللفظ رونقا وجمالا[٣].

والذي يجيل النظر في هذه الآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها، يجد أنها اشتملت على هذا الأسلوب الراقي، فوقعت جملة منها معترضة بين جملتين للمبادرة إلى توبيخ المشركين، وكأن المقام لا يحتمل التأخير حتى ينتهي الكلام، فجاءت هذه الجملة لتوبيخهم، وهذه الجملة هي قوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٤٢]، فقد وقعت هذه الجملة بين قوله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ) [النحل: ٤٢]، وقوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل:٤٤] على جهة الاعتراض.

قال الشيخ طنطاوي رحمه الله: وهذه الجملة الكريمة معترضة قوله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا) وبين قوله بعد ذلك: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ)، للمبادرة إلى توبيخ المشركين وإبطال شبهتهم، لأنه قد احتج عليهم بمن كانوا يذهبون إليهم بسؤالهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم[٤].

---

[١] – حاشية الشيخ زادة محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي ت٩٥١هـ، على تفسير الإمام البيضاوي، طبعة مطبعة الحقيقة إساتنبول ١٤١١هـ= ١٩٩١م ،١٧٩/٣.

[٢] – التفسير الوسيط ١٥٧/٨.

[٣] – سبق تعريف الاعتراض في الصورة الرابعة من الآية الثالثة والثلاثين صفحة .

[٤] – التفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوي ١٥٧/٨.

**الصور البلاغية في الآية الرابعة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما بين سبحانه وتعالى لهم أنه ما أرسل رسولا إلى قوم إلا وهو رجل، إذ الملائكة لا ترسل كأنبياء إلى البشر، ولما كانت رسل الملوك تقترن بما يعرف به صدقهم، قال سبحانه وتعالى جوابا لمن كأنه قال: بأي دلالة أرسلوا (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ)، ولما كان القرآن الكريم أعظم الأدلة أشار إليه سبحانه وتعالى: (وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) أي الكتاب الموجب للذكر، المعلي للقدر، الموصل إلى منازل الشرف، (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤][1].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

الذي يعيش في ظلال هذه الآية الكريمة، يدرك أنها تحتوي على صور جمة من البلاغة الراقية السامقة، وفي الصفحات الآتية بقاء مع هذه الصور قدر الوسع والطاقة:

**الصورة الأولى: بلاغة الإيجاز بالحذف في صدر الآية الكريمة في قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل: ٤٤]**

قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) يومئ بأن هناك محذوفا في الكلام حتى يستقيم المعنى، وهذا المحذوف يدل عليه المذكور قبله، في قوله تعالى: (ومَا

[1] – نظم الدرر للبقاعي ١٦٧/١١.

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً) [النحل: ٤٣]، (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل: ٤٤] يعني إرسالهم بالبينات والزبر وقد أفاد هذا الحذف التلبس بما بعد المحذوف، أي جاء هؤلاء الأنبياء بالمعجزات الباهرات، وبالكتب المنزلة للهداية.

وقد أبان عن هذه الصورة وجلاها الإمام الطبرسي في تفسيره قال: وقوله: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل: ٤٤] العامل فيه قوله: (أَرْسَلْنَا)، والتقدير وما أرسلنا بالبينات والزبر أي بالبراهين والكتب إلا رجالا نوحي إليهم، وقيل: إن في الآية إضمارا وحذفا، والتقدير أرسلناهم بالبينات[١].

وتوسع الإمام الشنقيطي أضواء البيان ناقلا عن الكشاف في ذلك، فقال: والباء في قوله: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) قيل: تتعلق بـ(وَمَا أَرْسَلْنَا) داخلا تحت حكم الاستثناء مع (رِجَالًا) أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات، كقولك: ما ضربت إلا زيدا بالسوط، وقيل: تتعلق بقوله: (رِجَالًا) صفة له، أي رجالا متلبسين بالبينات، وقيل: تتعلق بـ(أَرْسَلْنَا) مضمرا دل عليه ما قبله كأنه قيل: بم أرسلوا؟ قيل: بالبينات، وقيل: تتعلق بـ(نُوحِي) أي نوحي إليهم بالبينات[٢].

قلت: على الاحتمال الثالث يكون في الآية الإضمار والحذف الذي أشار إليه الطبرسي قبل، وهو من البلاغة.

---

[١] – مجمع البيان للإمام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت٥٤٨هـ،طبعة سنة ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م بدون دار طباعة، ١٨٣/٦.

[٢] – أضواء البيان للشنقيطي ٣٣٣/٣، الكشاف ٤٣٨/٣.

**الصورة الثانية: التقديم والتأخير في قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل: ٤٤]**

اشتملت هذه الآية الكريمة مع سابقتها على لون بديع من ألوان بلاغة المعاني، وهو التقديم والتأخير، حيث قدم في الآية الكريمة جملة كان حقها التأخير، وأخر جملة كان حقها التقديم، وقبل أن نبين موضع التقديم والتأخير في الآية يجدر أن نميط اللثام عن هذا الأسلوب البلاغي العريق وفائدته.

قال شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني: التقديم والتأخير باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا يزال ترى شعرا يروقك سمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان، وهو على وجهين: تقديم يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الإعرابي، وفي جنسه الذي كان فيه، وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه[١].

والتقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام جمالا وتأثيرا، لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين، كما هي مرتبة في ذهن المتكلم فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساس المتكلم[٢].

وللتقديم أربعة أحوال:

---

[١] – دلائل الإعجاز للإمام عبد القهار الجرجاني ص١٠٦.

[٢] – المنار في علوم البلاغة ص١٢٦.

١- ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، وذلك هو الغاية القصوى، وإليه المرجع في فنون البلاغة، والعمدة فيه هو القرآن الكريم.

٢- ما يفيد زيادة في المعنى فحسب.

٣- ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة.

٤- ما يختل به المعنى ويضطرب وهذا هو التعقيد اللفظي[١].

هذا والآية التي نحن بصددها وقع فيها اللون الأول من وجوه التقديم والتأخير وهو من البلاغة، فكان السياق يقتضي وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، ولكن بلاغة التقديم والتأخير في القرآن اقتضت أن تكون الآية (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل: ٤٣، ٤٤]، وذلك لنكتة بلاغية جليلة، وهي التقديم للعناية والاهتمام، ولا سيما أن المقام في الرد على مشركي مكة الذين أنكروا بعثة الرسل من البشر، فاقتضى الحال أن يقدم لهم في الكلام جملة (إِلَّا رِجَالًا) لأنه بها أعنى وهو ببيانها أهم، وهي لهم محط القصد من الحديث، لأن غرض المتكلم سبحانه وتعالى متعلق ببيانها، فبادر إلى ذكرها للإشعار بأن هذه هي المطلوب الأهم.

[١] – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ص٨٢، علوم البلاغة لأحمد الهاشمي ص١٠٠.

وقد أشار إلى هذه الصورة البلاغية بالذات أكثر المفسرين، مثل ابن الجوزي، والقرطبي، وهود بن محكم الهواري، والثعالبي، وابن أبي زمنين، وابن عجيبة، وغيرهم[١].

قال الإمام القرطبي: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) قيل بالبينات متعلق بأرسلنا، وفي الكلام تقديم وتأخير، أي وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا أي غير رجال – و"إلا" بمعنى غير كقوله: لا إله إلا الله[٢].

وهذا الذي ذكره القرطبي فحوى كلام جل المفسرين ممن ذكرت، والله أعلم.

**الصورة الثالثة:عطف التقسيم في قوله تعالى:(بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل:٤٤]**

في هذه الجملة الكريمة من القرآن الكريم لون بديعي عذب من بدائع القرآن الكريم وروائعه التي لا تنتهي، وهو عطف التقسيم الوارد في قوله تعالى:

---

[١] – زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت٥٩٧هـ، طبعة المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م، ٤٥٠/٤، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي القرآن للإمام عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي –محمد رضوان عرقسوس –خالد العواد –محمد معتز كريم الدين، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م، ٣٢٩/١٢، تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م، ٣٧١/٢، الجواهر الحسان للثعالبي ٣١٠/٢، تفسير القرآن العظيم للعالم الجليل أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ت٣٩٩هـ، تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة –محمد بن مصطفى الكنز، مطبعة دار الفاروق الحديثة القاهرة، ط١ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م ،٤٠٤/٢، البحر المديد لابن عجيبة ٢٦/٤.

[٢] – تفسير القرطبي ٣٢٩/١٢.

(بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) [النحل: ٤٤]، حيث عطف القرآن لفظ الزبر على لفظ البينات، للإشارة إلى أن هذه قسمة منتهية، ولا ثالث لهما، يعني أن بعض الأنبياء جاءوا بالبينات، وبعضهم جاء بالزبر، وهو لون بديع من ألوان البلاغة، ذكره الإمام ابن القيم في كتابه الفوائد المشوق [١].

وسمى هذا النوع الإمام محمد صديق خان بالاقتسام [٢] .

وقد أشار الإمام الطاهر بن عاشور إلى هذه الصورة البلاغية بقوله: ولعل عطف "الزبر" على "البينات" عطف تقسيم بقصد التوزيع، أي بعضهم مصحوب بالبينات، وبعضهم بالأمرين، لأنه قد تجيء رسل بدون كتب، فلم يذكر الله تعالى لنوح كتابا[٣].

---

١ – قال ابن القيم: التقسيم وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء، مثل قوله تعالى: (واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ومِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ومِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [النور: ٤٥] ومثله في القرآن كثير. الفوائد المشوق لابن القيم ص٩١.

٢ – وعرفه بقوله: هو أن يقسم المتكلم شيء بين أشخاص، ويخص في زعمه كلا منهما بما يليق به، كقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال

فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم ليس له زوال .

انظر: غصن البان المورق بمحاسن البيان للإمام محمد صديق خان القنوجي، مراجعة سمير حسن حلبي –أحمد عبد الفتاح تمام، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م، ص٥١.

٣ – التحرير والتنوير ١٦٢/١٤ باختصار.

**الصورة الرابعة: الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: (وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [النحل: ٤٤]**

وقع في هذه الآية الكريمة ما يسمى بوضع المظهر موضع المضمر، وهو نوع من خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر، وقد كان الظاهر من الكلام يقتضي: ونزلنا إليك الذكر لتبينه للناس، إذ الذكر عين المنزل، وإنما جاء الكلام كما في الآية لنكتة بلاغية ذكرها الطاهر بن عاشور في تفسيره، فقال: وفسر (مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) بأنه عين الذكر المنزل، أي أنزلنا إليك الذكر لتبينه للناس فيكون إظهارا في مقام الإضمار، لإفادة أن إنزال الذكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو إنزاله إلى الناس، كقوله تعالى: (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ) [الأنبياء: ١٠]، وإنما أتى بلفظه مرتين للإيماء إلى التفاوت بين الإنزالين، فإنزاله إلى النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، وإنزاله إلى إبلاغه إليهم، فالمراد بالتبيين على هذا تبيين ما في القرآن من المعاني، وتكون اللام لتعليل بعض الحكم الحافة بإنزال القرآن فإنها كثيرة، فمنها أن يبينه النبي صلى الله عليه وسلم فتحصل فوائد العلم والبيان، لقوله تعالى: (وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ) [آل عمران: ١٨٧][1].

[1] – التحرير والتنوير ١٤/١٦٤.

## المبحث السابع: الصور البلاغية في الحديث عن سوء عاقبة الكافرين

**الصور البلاغية في الآية الخامسة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) [النحل: ٤٥]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن تولت السورة الكريمة الرد على الشبهات، التي أثارها المشركون حول بعث الرسل من البشر، وحول مشيئة الله تعالى بهم الكفر، وتحريم ما أحل الله، أتبعت ذلك بالتهديد والوعيد والإنذار، والتنبيه من سوء عاقبة ما هم فيه من كفر وعصيان وعناد وجحود، فقال الله تعالى: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) [النحل: ٤٥] أي أفأمن الذين مكروا المكرات السيئات أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون قبلهم، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يدرون ولا يحتسبون كما فعل بقوم لوط عليه السلام قبلهم.

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

اشتملت هذه الآية الكريمة على العديد من صور البلاغة العالية، وفي الصفحات الآتية نعيش مع هذه الصور.

**الصورة الأولى: خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر بالاستفهام في قول الله تعالى: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ)**

معلوم أن الاستفهام هو طلب الإفهام لتحصيل فائدة علمية مجهولة، ولكن حقيقته مستحيلة على الله تعالى، فكلما وقع استفهام من الله تعالى في القرآن الكريم فهو على غير مقتضى الظاهر لنكتة لطيفة، وهي هنا في هذه الآية

الإنكار والتوبيخ والتقريع لهؤلاء الكفار على ما هم فيه من الكفر، وتركهم التفكر فيما حصل للأمم الكافرة قبلهم، كما يحمل معنى التعجيب من حالهم.

قال الإمام القرطبي: قوله تعالى: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) [النحل: ٤٥] أي بالسيئات، وهذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في إبطال الإسلام أن يخسف الله بهم الأرض، قال ابن عباس: كما خسف بقارون، يقال: خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الأرض، وخسف الله به خسفا أي غاب به فيها، ومنه قوله تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) [القصص: ٨١]، وخسف هو في الأرض وخسف به، والاستفهام بمعنى الإنكار، أي يجب ألا يؤمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين[١].

وقال الطاهر بن عاشور مرجحا أن يكون الاستفهام للتعجيب المشوب بالتوبيخ: بعد أن ذكرت مساويهم وبعد تهديدهم بعذاب يوم البعث تصريحا وبعذاب الدنيا تعريضا، فرع على ذلك تهديدهم الصريح بعذاب الدنيا بطريق استفهام التعجيب من استرسالهم في المعاندة، غير مقدرين أن يقع ما يهددهم به الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يقطعون عن المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فكانت حالهم في استرسالهم كحال من هم آمنون بأس الله، فالاستفهام مستعمل في التعجيب المشوب بالتوبيخ[٢].

وعلى كل فإن الاستفهام قد خرج عما وضع له لنكتة بلاغية، وقد أشار الإمام الشنقيطي في تفسيره إلى أن في ذات الاستفهام إيجاز بالحذف يؤخذ من فحوى كلامه وهو نوع من أنواع البلاغة أيضا.

---

[١] – تفسير القرطبي ١٢/٣٣٠

[٢] – التحرير والتنوير ١٤/١٦٥.

قال الشنقيطي رحمه الله: كل ما جاء في القرآن من همزة استفهام بعدها واو العطف أو فاؤه كقوله: (أَفَنَضْرِبُ عَنكُم الذِّكْرَ صَفْحًا) [الزخرف: ٥]، فيه وجهان معروفان عند علماء العربية:

**أحدهما:** أن الفاء والواو كلتاهما عاطفة ما بعدها على محذوف دل المقام عليه، كقولك مثلا: أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا.

وإلى هذا الوجه أشار ابن مالك بقوله: وحذف متبوع بدا هنا استبح.[١]

**الوجه الثاني:** أن الفاء والواو كلتاهما عاطفة للجملة المصدرة همزة الاستفهام على ما قبلها، إلا أن همزة الاستفهام تزحلقت عن محلها، فتقدمت على الفاء والواو وهي متأخرة عنها في المعنى، وإنما تقدمت لفظا عن محلها معنى، لأن الاستفهام له صدر الكلام، فبهذا تعلم أن قوله تعالى في هذه الآية التي هي قوله: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) الوجهين المذكورين، فعلى الأول فالمعنى: أجهل الذين مكروا السيئات وعيد الله بالعقاب فأمن الذين مكروا السيئات، وعلى الثاني فالمعنى: فأمن الذين مكروا السيئات، فالفاء عاطفة للجملة المصدرة بالاستفهام، والأول هو الأظهر والعلم عند الله تعالى[٢].

قلت: فعلى الوجه الأول يكون في الآية إيجاز بالحذف، حيث حذفت المعطوف عليه جملة الاستفهام للإيجاز.

---

[١] – انظر ألفية ابن مالك للعلامة جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الاندلسي ت ٦٧٢هـ، طبعة دار الأقصى، بدون،ص٤٠.

[٢] – أضواء البيان للشنقيطي ٣/٣٣٥.

**الصورة الثانية: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) [النحل: ٤٥]**

صورة أخرى من صور البلاغة السامقة في الآية الكريمة، تنتمي إلى ما سماه العلماء شجاعة العربية، كما قال ابن جني في الخصائص، وهو الإيجاز بالحذف حيث حذف من الآية الكريمة المضاف، وكان المقام يقتضي: أفأمن الذين مكروا المكرات السيئات، ولكن البلاغة القرآنية اقتضت حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه بغرض الإيجاز في اللفظ، وهو مسلك عال استعمله القرآن كثيرا إذ البلاغة الإيجاز .

قال الإمام الخازن في تجلية هذه الصورة: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) فيه حذف تقديره المكرات السيئات، وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في أذيتهم، والمكر عبارة عن السعي على سبيل الخفاء، وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله، فيكون مكرهم على أنفسهم[١].

وإلى هذا أشار الإمام النسفي في مدارك التنزيل، والشيخ طنطاوي في تفسيره، والنيسابوري في غرائب القرآن[٢].

---

[١] – لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، طبعة المطبعة البهية بمصر بدون.

[٢] – مدارك التنزيل ١٢٨/٣، التفسير الوسيط ١٦٠/٨، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٩٩٢/٣.

**الصورة الثالثة: الكناية الرائقة في قوله تعالى: (أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ)**

من الصور البلاغية التي اشتملت عليها هذه الآية الكريمة أسلوب الكناية الرائق في ذيل هذه الآية، والكناية فن من التعبير يتوخاه العرب استكثارا للألفاظ التي تؤدي إلى ما يقصد من المعاني، وبه يزينون ضروب التعبير، ويكثرون من وجوه الدلالة [1].

والآية التي نحن بصدد الحديث عنها قد اشتملت على الكناية الرائقة التي حوت في كنهها معاني جليلة، لم يتم التصريح بها في قوله تعالى: (أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) [النحل: ٤٥].

قال الطاهر بن عاشور: و(مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) من مكان لا يترقبون أن يأتيهم منه ضر، فمعنى (مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) أنه يأتيهم بغتة لا يستطيعون دفعة، لأنهم لبأسهم ومنعتهم لا يبغتهم ما يحذرونه، إذ قد أعدوا

---

[1] – وهي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي، أو هي إطلاق لفظ حسن يشير إلى معنى قبيح، كقوله تعالى: (وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وِدِيَارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضاً لَّمْ تَطَئُووهَا) [الأحزاب: ٢٧] أراد بالأرض الثانية نسائهم اللاتي كن محل وطئهم وجهة استمتاعهم، وهي عدة أقسام:
كناية يطلب بها صفة من الصفات، كالجود والكرم ودماثة الأخلاق، كأن يقول فلان طويل النجاد، كثير الرماد، وكناية يطلب بها موصوف، مثل قولك: قتلت ملك الوحوش، تريد الأسد، وكناية يطلب بها نسبة ثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه، كقولك: المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص١٢٦، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للدكتور عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م، ص٣/١٥٠، علوم البلاغة للهاشمي ٣٠١.

له عدته فكان الآتي من حيث لا يشعرون عذابا غير معهود فوقع قوله: (مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) كناية عن عذاب لا يطيقون دفعه بحسب اللزوم العرفي، وإلا فقد جاء العذاب عادا من مكان يشعرون به، قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) [الأحقاف: ٢٤]، وحل بقوم نوح عذاب الطوفان وهم ينظرون، وكذلك عذاب الغرق لفرعون وقومه[١].

[١] – التحرير والتنوير ١٤/١٦٦.

**الصور البلاغية في الآية السادسة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) [النحل: ٤٦]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن تولت السورة الكريمة الرد على شبهات المشركين، أتبعت ذلك بذكر ألوان العذاب التي أعدها الله تعالى لهم إن هم لم يرتدعوا، فذكرت التعجيب من شأنهم إذ هم لم يتعظوا بحال قارون الذي خسف به قبلهم، ثم ذكرت لونا آخر من ألوان عذابهم فقال تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) [النحل: ٤٦].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

احتوت هذه الآية الكريمة على العديد من فنون البلاغة، وعيون الفصاحة فهي على قصر ألفاظها كثرت معانيها ودلالاتها، ونحن نميط اللثام عن بعض الصور التي اشتملت عليها هذه الآية الكريمة قدر الوسع والطاقة:

**الصورة الأولى: الاستعارة الرشيقة في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) [النحل: ٤٦]**

وقع في هذه الآية الكريمة استعارة رشيقة في لفظ "يأخذهم" حيث استعار الأخذ للإهلاك على جهة الاستعارة التبعية[١].

---

[١] – الاستعارة تنقسم باعتبار اللفظ المستعار إلى قسمين:

أصلية: وهي ما يكون اللفظ المستعار فيها اسم جنس، وهو الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين ولو تأويلا، نحو الأسد إذا استعير للشجاعة.

تبعية: وهي ما يكون المستعار فيها فعلا أو اسما مشتقا أو حرفا، فالأول مثل عضنا الدهر بنابه، والثاني مثل جليل عملك ناطق بفضلك، والثالث نحو (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ==

فقد صرح فيها بلفظ المشبه، وكان لفظا مشتقا وهو الفعل "أخذ"، حيث شبه الله تعالى العذاب الشديد الذي يقع على هؤلاء الكفار بالخاطف الذي يأخذ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأخذ، ثم تناسى التشبيه، وهذا الصنيع يسمى بالاستعارة المكنية التبعية، إنه تصوير عجيب يبرز لك المعنى النفسي في صورة حية، متحركة، ملموسة، مشاهدة، مؤثرة، انظر إلى الدقة في استعمال كلمة الأخذ التي توحي بالقوة وهي ما يتلائم مع المقام، إذ المقام مقام تكذيب، فما تحدثه هذه الكلمة يثير في النفس أقصى درجات الإحساس والشعور بالتعذيب، إنه النظم القرآني يصور فيبدع، ويعبر فيعجز.

قال الطاهر بن عاشور: الأخذ مستعار للإهلاك، قال تعالى: (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً) [الحاقة: ١٠][١] وقد حسنت الاستعارة هنا لأنها وقعت موقعها ونزلت موضعها.

قال ابن رشيق في العمدة: الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في جلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها[٢].

---

==

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وحَزَناً) [القصص: ٨]، وكلا القسمين الأصلية والتبعية قد يكون تصريحية أو مكنية، بمعنى أن الاستعارة إذا صرح فيها بلفظ المشبه به كانت تصريحية، وتنقسم إلى أصلية وتبعية، والاستعارة المكنية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه، وتنقسم إلى ذات القسمة السابقة. علوم البلاغة للهاشمي ٢٧٤.

[١] – التحرير والتنوير ١٦٦/١٤.

[٢] – العمدة لابن رشيق القيراواني ٢٦٨/١.

**الصورة الثانية: التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: (فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) [النحل: ٤٦]**

مما اشتملت عليه هذه الجملة الكريمة من بديع البلاغة أنها عبرت على المعنى المراد باستعمال الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت والاستقرار، وذلك في قوله تعالى تذييلا على أخذ المشركين والمعاندين في تقلبهم: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) إشارة إلى أنه عند أخذه سبحانه وتعالى لهم لن يعجزه شيء فهو القاهر القادر، ولن يجدوا عن عذابه محيصا؛ وهذا المعنى عبر عنه بالجملة الاسمية للدلالة على أن ذلك ثابت ودائم، وواقع لا يتغير.

قال أبو السعود في تجلية هذه الصورة: (فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) بممتنعين، أو فائتين بالهرب والفرار، على ما يوهمه حال التقلب والسير، وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي، لا على نفي الدوام[١].

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الألوسي في روح المعاني أيضا، قال: والجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي والتأكيد يعود إليه أيضا[٢].

إنها الجملة القرآنية تدل بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل، لا يكاد الإنسان يستطيع أن يعبر عنه إلا بأسطر وجمل كثيرة، دون أن تجد فيه اختصارا مخلا أو ضعفا في الدلالة[٣]، فسبحان من هذا كلامه.

---

١ – إرشاد العقل السليم ٣٦٧/٣.

٢ – روح المعاني ١٥١/١٤.

٣ – الإعجاز في نظم القرآن للدكتور محمود شيخون ص١٢٦.

**الصور البلاغية في الآية السابعة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ٤٧]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن تولت السورة الكريمة الرد على شبهات المشركين التي أثاروها حول الإسلام، أتبعت ذلك بذكر التعجيب من شأنهم، وتهديدهم إن هم لم يرتدعوا بالخسف أولا، أو بأذيتهم العذاب من حيث لا يشعرون ثانيا، أو بالأخذ من الله تعالى في حال تقلبهم في معايشهم ثالثا، أتبعت ذلك بذكر لون آخر من ألوان هذا التهديد بأن يأخذهم الله على تخوف، ثم أتبعت ذلك بذكر رحمته ورأفته سبحانه وتعالى بهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة، فقال تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ٤٧].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

لا يخفى على بصير بألوان البيان والمعاني والبديع قرأ هذه الآية الكريمة أنها تنطوي على العديد من الصور البلاغية الخلابة، ومنها:

**الصورة الأولى:الاستعارة الرشيقة في قوله تعالى:(أَوْ يَأْخُذَهُمْ) [النحل:٤٧]**

اشتملت الآية الكريمة على الاستعارة بالكناية في لفظ "يأخذهم" وقد سبق الحديث فيها تفصيلا في الصورة الأولى من الآية السادسة والأربعين بما يغني عن إعادته هنا[1].

[1] سبق في صفحة من هذا البحث

**الصورة الثانية: ائتلاف اللفظ مع المعنى في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ٤٦، ٤٧]**

اشتملت هاتان الآيتان الكريمتان على لون بديعي جليل يسمى في علم البديع بائتلاف اللفظ مع المعنى، وهو سائد في كل القرآن الكريم، وقد سبق تعريفه في الصورة الثالثة من الآية الرابعة والثلاثين[1]، وهو مجيء الألفاظ موافقة للمعاني، وفي هاتين الآيتين ترى من ذلك عجبا.

فلما كان التقلب والتخوف مظنة الهرب عبر الله تعالى فيهما بالأخذ المؤذن بالعذاب الشديد، ولما كان العذاب واقعا في حالة سكون، لأنهم لا يشعرون من أين يأتيهم عبر فيه بالإتيان، وجاء مع التقلب بحرف الجر "في" الدال على الظرفية، وفي التخوف بحرف "على" الدال على الاستعلاء والإحاطة، ولما أراد تطمين قلوب المؤمنين عبر بصفة الربوبية المضافة إلى ضمير المخاطب، فقل لي بالله عليك: هل هناك بلاغة أعلى أو أرقى من هذه البلاغة؟ اللهم لا.

وقد أبان عن هذه الصورة البديعة الإمام الألوسي في تفسيره فقال: وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن إصابة العذاب فيهما بالأخذ، وعن إصابته حالة الغفلة المنبئة على السكون بالإتيان، وجيء ب "في" مع التقلب وب "على" مع التخوف، قيل لأن في التقلب حركتين فكان الشخص المتقلب بينهما ولا كذلك التخوف، وقيل: لما كان التقلب شاغلا للإنسان بسائر جوارحه حتى كأنه محيط به وهو مظروف فيه جيء بفي

---

[1] – سبق في صفحة من هذا البحث

معه، والتخوف أي المخافة يقوم بعض من أعضائه فقط وهو القلب المحيط به بدون الإنسان لذا جيء بعلى معه، والتعبير بعنوان الربوبية مع ضمير المخاطب من آثار رحمته جل شأنه[١].

**الصورة الثالثة: الانتقال من خطاب جمع إلى خطاب جمع غيرهم في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ٤٧]**

أسلوب بليغ راق من أساليب البلاغة العربية ضمن هذه الآية الكريمة، جعله الإمام الزركشي من الألوان التي تقرب من الالتفات وليست منه[٢].

وأراه أصاب الحقيقة، إذ الالتفات يعتبر في متكلم واحد، أو مخاطب واحد، أما إذا انتقل المتكلم من مخاطب إلى مخاطب فهذا قريب من الالتفات، وهو في هذه الآية الكريمة ماثل في توالي حديث القرآن الكريم عن الكفار، وما أعده الله تعالى لتهديدهم، وكان الخطاب بصيغة الغائب (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ٤٥- ٤٧]

ثم توجه بالخطاب بالكلية إلى المؤمنين على جهة الخطاب (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ٤٧] للإشارة إلى بث الطمأنينة في قلوبهم، وترضيتهم، والإحسان إليهم، والتعبير بلفظ الرب ينبئ عن ذلك، وإضافته إلى ضمير المخاطب في ذلك أبلغ وأوقع.

---

[١] – روح المعني للألوسي ١٥٢/١٤.

[٢] – البرهان في علو م القرآن ٣٣٤/٣.

قال الألوسي: والتعبير بعنوان الربوبية مع إضافته إلى ضمير المخاطب من آثار رحمته جل شأنه[١].

**الصورة الرابعة: التأكيد الواقع في قوله تعالى: (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [النحل: ٤٧]**

وقع في هذه الآية الكريمة أسلوب التأكيد، الذي يمكن الخبر في النفس ويقويه، ويزيل عنه الشكوك والشبهات، وذلك باستعمال "إن" التي هي في صدر الجملة، واستعمال الجملة الاسمية، مع استعمال صيغ المبالغة في الصفتين الواقعتين في تذييل الآية الكريمة، وفي هذا التوكيد، وهذه المبالغة، ما يبعث النفس على الإيمان والتصديق والإذعان لله سبحانه وتعالى.

قال الأرموي: "فإن ربكم" أيها العباد، "لرؤوف" بكم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها، "رحيم" بكم حيث لا يأخذكم في الحال، ويتوب عليكم في المآل، ويجازي توبتكم بالفضل والنوال، ولما كان تعالى قادرا على هذه الأمور ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرأفة والرحمة[٢].

---

[١] – روح المعاني ١٥٢/١٤.

[٢] – حدائق الروح والريحان ٢٤٤/١٥.

## المبحث الثامن: الصور البلاغية في الحديث عن انقياد الخلق لله تعالى

**الصور البلاغية في الآية الثامنة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وهُمْ دَاخِرُونَ) [النحل: ٤٨]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

لما ذكر سبحانه وتعالى قدرته على تعذيب الماكرين وإهلاكهم بأنواع من الأخذ، ذكر تعالى طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعه ضد حال الماكرين، لينبههم على أنه ينبغي بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين متفادين لأمره سبحانه، فقال: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ..... الآية) [النحل:٤٨][1].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

لا شك أن هذه الآية الكريمة احتوت على الكثير من الصور البلاغية العذبة التي اكتنفتها من كل جانب، وها نحن نميط اللثام عن هذه الصور قدر الوسع والطاقة:

[1] – البحر المحيط لأبي حيان ٥/٤٨٠.

**الصورة الأولى: الاستفهام الواقع في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ ....) [النحل: ٤٨]**

يخرج الاستفهام عن إرادة طلب الإفهام والإعلام، إلى معان أخرى إذ حقيقة الاستفهام مستحيلة على الله تعالى، وفي هذه الآية الكريمة خرج الاستفهام عن حقيقته إلى الإنكار، فجاء الاستفهام إنكاريا.

والاستفهام الإنكاري كما يقول ابن القيم راجع إلى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتد عنه[١].

ولذلكم جاء هنا الاستفهام الإنكاري المشوب بالتوبيخ، لينكر على هؤلاء عدم اعتبارهم بالرؤية التي رأوها رأي البصر من سجود الظلال لله تعالى، ومع هذا لم يعتبروا حتى قيل: عجبا لأمر الكافر ظله يسجد وهو لا يسجد.

قال الإمام أبو حيان: والاستفهام هنا معناه التوبيخ، قيل: ويجوز أن يكون معناه التعجب، والتقدير تعجبوا من اتخاذهم مع الله شريكا، وقد رأوا هذه المصنوعات التي أظهرت عجائب قدرته، وغرائب صنعه، مع علمهم بأن آلهتهم التي اتخذوها شركاء لا تقدر شيء ألبتة[٢].

وقال الألوسي: الهمزة للإنكار، والرؤية بصرية مؤدية إلى التفكر، والضمير للذين مكروا السيئات، أي: ألم ينظر هؤلاء الماكرون ويتوجهوا إلى ما خلق الله[٣].

---

١ – الفوائد المشوق ص١٥٨.

٢ – البحر المحيط ٤٨٠/٥.

٣ – روح المعاني ١٥٣/١٤ باختصار.

وقال الطاهر: والاستفهام إنكاري، أي: قد رأوا والرؤية بصرية[١].

وقال الشيخ طنطاوي: الاستفهام في قوله تعالى: "أولم يروا" للإنكار والتوبيخ، والرؤية بصرية، أي رأوا كل ذلك ولكنهم لم ينتفعوا بما رأوا، ولم يتعظوا بما شاهدوا[٢].

**الصورة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة: بلاغة الإيجاز بالقصر والحذف والتفنن في العبارة والطباق والإبداع في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) [النحل: ٤٨]**

وقعت هذه الصور الخمسة في هذين اللفظين الكريمين من كتاب الله تعالى، فوقع الإيجاز بالقصر في إفراد اليمين وجمع الشمائل دونما حذف من العبارة على ما هو حد الإيجاز بالقصر.

قال الخازن: وإنما وحد اليمين وإن كان المراد به الجمع، للإيجاز والاختصار في اللفظ، وقيل: اليمين راجع إلى لفظ الشيء وهو واحد، والشمائل راجع إلى المعنى لأن لفظ الشيء يراد به الجمع[٣].

ووقع الإيجاز بالحذف أيضا حيث حذف من العبارة، وكان الظاهر أن يقال: عن جهات اليمين وجهات الشمائل.

قال الطاهر بن عاشور: وقوله: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) أي عن جهات اليمين وجهات الشمائل مقصود به إيضاح الحالة العجيبة للظل، إذ يكون عن يمين

---

١ – التحرير والتنوير ١٦٨/١٤.

٢ – التفسير الوسيط ١٦٤/٨.

٣ – تفسير لباب التأويل ١٢٩/٣.

الشخص مرة، وعن شماله أخرى، أي إذا استقبل جهة ما ثم استدبرها، وليس المراد خصوص اليمين والشمال، بل كذلك الأمام والخلف فاختصر الكلام[١].

أما عن التفنن في العبارة فهو بإفراد اليمين وجمع الشمائل.

قال الطاهر: وأفرد اليمين لأن المراد به جنس الجهة كما يقال المشرق، وجمع الشمائل مرادا به تعدد جهة الشمال بتعدد أصحابها كما يقال: (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ) [المعارج: ٤٠] فالمخالفة بالإفراد، والجمع تفنن[٢].

أما عن الطباق بين اللفظين فهو واضح للتضاد الواقع بين لفظي اليمين والشمائل.

قال الصابوني: وفي الآية من محسنات البديع الطباق[٣].

وأما الإبداع فهو أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع[٤].

فهو ماثل في الآية لذي عينين، حيث وقع أكثر من لون في هذين اللفظين الجليلين.

فانظر إلى القرآن الكريم لترى أن ألفاظه نادرة الوجود، ومعانيه مستوفيه للمقصود، كل كلمة منه جامعة لمعاني شتى، وكل آية تحتوي على معان لغير المتكلم به لا تتأتى، فسبحان من أحكم صنعته ومبناه، وجمَّل لفظه ومعناه.

---

١ – التحرير والتنوير ١٦٩/١٤.

٢ – التحرير والتنوير ١٦٩/١٤.

٣ – صفوة التفاسير ١٢٩/٢.

٤ – البلاغة أسسها وعلومها وفنونها ٤٨٢/٢.

**الصورة السابعة: الاستعارة الرشيقة في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) [النحل: ٤٨]**

هذا النص المعجز الفريد، الجامع لفنون الفصاحة والبلاغة، اشتمل – فوق ما سبق – على الاستعارة التصريحية الأصلية، حيث شبه فيها الظل حالة استدارته شرقا وغربا شمالا وجنوبا بالإنسان، ثم حذف المشبه به، ثم تنوسي التشبيه، ثم ادعى أن المشبه داخل في جنس المشبه به وواحد من أفراده، ثم استعير له لفظ من لوازمه، وهي كلمة اليمين والشمائل التي لا تكون إلا للإنسان، على جهة الاستعارة التصريحية الأصلية، وهي تصريحية لأنه صرح فيها بلفظ المشبه به، وهي أصلية لأن اللفظ المستعار لفظ جامد غير مشتق.

وقد أبان عن هذه الصورة البلاغية جل المفسرين، قال ابن عطية: والذي يترتب فيه أيمان وشمائل إنما هو البشر فقط، لكن ذكر الأيمان والشمائل هنا على جهة الاستعارة لغير البشر، أي تقدره ذات يمين وشمال، وتقدره يستقبل أي جهة شاءها، ثم تنظر ظله فتراه يميل إما إلى جهة اليمين وإما إلى جهة الشمال، وذلك في كل أقطار الدنيا، فهذا وجه يعمم لك ألفاظ الآية، وفيه تجوز واتساع[١].

[١] – المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت٥٤٦هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م، ٣٩٨/٣.

قال ابن جزي: استعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام، فإن اليمين والشمائل إنما هي في الحقيقة للإنسان[١].

وقال الإمام الزمخشري مجليا هذا المعنى: والمعنى: أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها، أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه، استعارة عن يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء، أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع[٢].

وقد ذكر هذه الصورة البلاغية غير ما تقدم السمين الحلبي في الدر، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم، والبيضاوي في تفسيره، والشيخ زاده في حاشيته عليه، وابن عادل في اللباب، والألوسي في روح المعاني، يزيد بعضهم على بعض وينقص[٣].

---

[١] – التسهيل لعلوم التنزيل ٤٦٥/١.

[٢] الكشاف ٣/ ٤٤٠.

[٣] – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للعلامة أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت٧٥٦هـ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم دمشق ١٤٠٦هـ ٢٢٩/٧، إرشاد العقل السليم ٣٦٨/٣، تفسير البيضاوي ١٨١/٣، حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ١٨٠/٣، اللباب لابن عادل ٦٩/١٢، روح المعاني للألوسي ١٥٤/١٤.

**الصور البلاغية في الآية التاسعة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى: (وِللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) [النحل: ٤٩]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن أخبر سبحانه وتعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه، الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها، جماداتها، وحيواناتها، ومكلفوها، فأخبر سبحانه وتعالى بأن كل ما له ظل يتفيأ عن اليمين والشمائل فهو ساجد بظله لله سبحانه وتعالى، أتبع ذلك بأن من يعقل أيضا يسجد له من الملائكة وغيرهم، فقال تعالى: (وِللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) [النحل: ٤٩].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

وقع كثير من صور البلاغة وأساليبها في هذه الآية الكريمة ومن هذه الصور:

**الصورة الأولى: أسلوب القصر في قوله تعالى: (وِللَّهِ يَسْجُدُ) [النحل: ٤٩]**

بنظرة فاحصة متأنية إلى هذه الآية الكريمة، نجد أنها اشتملت على أسلوب من البلاغة راق، ولون من الفصاحة عال، وهو أسلوب القصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: (وِللَّهِ يَسْجُدُ)، حيث قصرت الآية الكريمة السجود لله تعالى لا إلى غيره، فالخضوع والاستسلام له لا غيره – جل في علاه – وقد أماط اللثام عن هذه الصورة البلاغية الإمام أبو السعود في تفسيره فقال: (وِللَّهِ يَسْجُدُ) أي له تعالى وحده، يخضع وينقاد لا لشيء غيره، استقلالا أو اشتراكا، فالقصر ينتظم القلب والإفراد، إلا أن الأنسب

بحال المخاطبين قصر الإفراد، كما يؤذن به قوله تعالى: (وقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ) [النحل: ٥١][١].

قلت: ومراد كلام الإمام أبو السعود أن هذا القصر ينتظم القلب والإفراد، أنه يصلح لأن يكون قصر قلب يعني يقلب على المخاطب اعتقاده، أو قصر إفراد إذا كان المخاطب يشارك الغير في الحكم المقصور عليه، وهذا الذي رجحه الإمام أبو السعود وأميل معه فيه، لدلالة الآية التي ذكرها، وقد سبق تعريف القصر وأقسامه تفصيلا في ثنايا البحث ما يغني عن إعادته هنا [٢].

وقد أورد هذه الصورة الطاهر بن عاشور في تفسيره، والألوسي في روح المعاني[٣].

**الصورة الثانية: المجاز في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ) [النحل: ٤٩]**

اشتملت هذه الآية الكريمة على المجاز في لفظ السجود، إذ أسنده إلى من لا يعقل من الدواب، وفي هذا التجوز ما يضفي على اللفظ كثرة المعاني وغزارتها.

قال شيخ الإسلام زكريا: قوله تعالى: (ولِلَّهِ يَسْجُدُ) تجوز بالسجود عن الانقياد فيما لا يعقل، والسجود على الجبهة فيمن يعقل، ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز[٤].

---

١ – إرشاد العقل السليم ٣٦٩/٣.

٢ – سبق في صفحة من هذا البحث

٣ – التحرير والتنوير ١٧٠/١٤، روح المعاني ١٥٧/١٤.

٤ – فتح الرحمن في كشف ما تلبس من القرآن ٣٠٦.

وقد أفاض الطاهر بن عاشور في توضيح المجاز، فقال: ومعنى سجود الدواب لله أن الله جعل في تفكيرها الإلهامي التذاذها بوجودها، وبما هي فيه من المرح والأكل والشرب، وتطلب الدفع عن نفسها من المتغلب، ومن العوارض بالمرافعة، أو بالتوقي، ونحو ذلك من الملائمات، فحالها بذلك كحال شاكر تتيسر تلك الملائمات له وإنما تيسيرها لها ممن فطرها، وقد تصحب أحوال تزعمها حركات تشبه إيماء الشاكر المقارن للسجود، ولعل من حركاتها ما لا يشعر به الناس لخفائه، وجهلهم بأوقاته، وإطلاق السجود على هذا مجاز[١].

وقد أشار الإمام ابن كثير إلى هذه الصورة أيضا في تفسيره بنوع من الإيجاز[٢].

**الصورة الثالثة: عطف الخاص على العام في قوله تعالى: (وِلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ) [النحل: ٤٩]**

وقع في هذه الجملة القرآنية البديعة ما يسمى في علم المعاني بالإطناب، وهو قسيم الإيجاز والمساواة.

عرفه علماء البلاغة بأنه عرض المعنى في عبارة زائدة بحيث تحقق الزيادة فائدة، فإذا كانت الزيادة بغير فائدة فهو الحشو والتطويل، وكلاهما عيب في الكلام.

---

[١] – التحرير والتنوير ١٤/١٧٠.

[٢] – تفسير القرآن العظيم ٨/٣١٧.

والإيجاز هو عرض المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، مع الإبانة والإفصاح، والمساواة أن تكون العبارة مساوية للمعنى في إطار ما جرى عليه العرف بين الناس في تخاطبهم.

وللإطناب صور مختلفة تتضمن أغراضا بلاغية يقتضيها المقام، ومن دواعيه تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام، وغير ذلك مما يضيق المقام عن حصره هنا، ويطلب من كتب البلغاء، ومن أسباب الإطناب وهو الواقع في هذه الآية الكريمة هنا ذكر الخاص بعد العام، وذلك للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلا للتغير في الوصف منزلة التغير في الذات[1].

قال الإمام البغوي: "والملائكة" خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جهة ما في السموات والأرض تشريفا ورفعا لشأنهم، وقيل: لخروجهم من جملة الموصوفية بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها[2].

وقال الألوسي: قوله: "والملائكة" هو عطف الخاص على العام، إفادة لعظم شأن الملائكة عليهم السلام، وجوز أن يكون من عطف المباين بناء على أن

---

[1] – شرح عقود الجمان للسيوطي ص٧٢، مفتاح البلاغة للدكتور محمد محمد خليفة وعبد الحكيم حسن نعناع، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م، ص٩٧، ١١٣، ١٢٧، دروس البلاغة تأليف حفني ناصف –محمد دياب –سلطان محمد، طبعة المطبعة الأميرية ١٣١٧هـ= ١٨٩٩م، ص٢٦.

[2] – معالم التنزيل للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن سعود البغوي ت٥١٦هـ، تحقيق محمد عبد الله النمر –عثمان جمعة ضميرية –سليمان مسلم الحرش، طبعة دار طيبة الرياض ١٤١١هـ، ٢٣/٥.

يراد بما في السموات الجسمانيات، ويلتزم القول بتجرد الملائكة عليهم السلام فلا يدخلون فيما في السموات، لأن المجردات ليست في حيز وجهة[١].

هذا وقد أشار إلى وقوع هذه الصورة البلاغية الماتعة في هذا النص الكريم جل المفسرين[٢].

**الصورة الرابعة: التعريض الذي هو أخو الكناية في قول الله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) [النحل: ٤٩]**

وقع في هذه الآية الكريمة أسلوب التعريض الماتع الذي يفوق التصريح في التقاط المعاني، في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ)، وهذا التعريض يؤخذ من عرض الكلام فهو أشبه بلازم الفائدة، وهو هنا تعريض بهم على سبيل الذم والتنقص، وقد أُخذ ذلك من ذكر سجود أشرف المخلوقات وأدناها، كما عرض باستكبارهم وتعاليهم بقوله تعالى في حق الملائكة (وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ)، يعني أن الملائكة الذين هم أشرف منكم لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى، كما تناولت الآية أيضا تعريضا بذمهم لأجل سجودهم لغير الله من الأصنام والأوثان، يؤخذ هذا من صدر الجملة القرآنية.

---

١ – روح المعاني ١٤/١٥٧.

٢ – انظر التسهيل لعلوم التنزيل ١/٤٦٥، إرشاد العقل السليم ٣/٣٦٩، تفسير البيضاوي ٣/١٨١، حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي ٣/١٨١، البحر المديد ٤/٢٩، لباب التأويل ٣/١٢٩، الكشاف ٣/٤٤٠، صفوة التفاسير ٢/١٢٩، التفسير الوسيط ٨/١٦٥.

قال الطاهر بن عاشور مجليا هذه الصورة البلاغية: وتقديم المفعول على فعله مؤذن بالحصر، أي يسجد لله لا لغيره ما في السموات وما في الأرض، وهو تعريض بالمشركين لأنهم يسجدون للأصنام[١].

قال: وفي أشرف المخلوقات وأقلها تعريض بذم من نزل من البشر عن مرتبة الدواب في كفران الخالق، وبمدح من شابه من البشر حال الملائكة، ووصف الملائكة بأنهم لا يستكبرون تعريض ببعد المشركين عن أوج تلك المرتبة الملكية[٢].

والتعريض لون بديع من المحسنات البديعية الرائعة، التي تكشف بدائع القرآن وغزارة معانيه، إذ يؤدي المعاني تلميحا كما يؤديها تصريحا؛ فسبحان من هذا كلامه.

**الصورة الخامسة: اللف والنشر في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ) [النحل: ٤٩]**

وقع في هذه الآية الكريمة أيضا لون آخر من ألوان البديع، وهو اللف والنشر، وهو فن في المتعددات التي يتعلق بكل واحد منها أمر لاحق [٣]،

---

١ – التحرير والتنوير ١٤/١٧٠.

٢ – التحرير والتنوير ١٤/١٧١ باختصار.

٣ – وقد عرف البلاغيون هذا المحسن البديعي فقالوا: أن يأتي المتكلم بمتعدد ويأتي بعده بمتعدد آخر، يتعلق كل فرد من أفراده بفرد من أفراد المتعدد السابق بالتفصيل وبدون تعيين، كأن نقول طلعت الشمس، وبزغ القمر، نهارا، وليلا، يعني طلعت الشمس نهارا، وبزغ القمر ليلا، وهو قسمان:

==

حيث جمع الله تعالى من يسجد له من الصنفين، ما في السموات وما في الأرض، ثم فصل فذكر الدواب أولا، ثم ذكر الملائكة ثانيا.

قال الإمام البغوي: وقيل: أراد: ولله يسجد ما في السموات من الملائكة، وما في الأرض من دابة وتسجد الملائكة[1].

وقال السمعاني: المراد من الدابة هاهنا قالوا: هي الحيوان، لأن الحيوان من شأنه الدبيب ، ويقال: ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، فإن قال قائل: كيف يستقيم هذا المعنى وقد قال بعده: "والملائكة" والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه خصهم بالذكر تشريفا لهم.

الآخر: أن المراد من الملائكة المذكورين أخيرا، هم ملائكة الله في الأرض، يعبدون الله تعالى ويسبحونه[2].

---

==

إما أن يذكر النشر فيه على ترتيب الطي (اللف) مثل: (ومِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ولِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) [القصص: ٧٣] فقد جمع بين الليل والنهار، ثم ذكر السكون الليل وابتغاء الرزق للنهار.

وإما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطي، نحو قوله تعالى: (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ) [الإسراء: ١٢] ذكر ابتغاء الفضل للثاني وعلم الحساب للأول على خلاف الترتيب . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ٣١٠، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ص٤٠٣، مفتاح العلوم للسكاكي ص٤٢٥.

[1] – معالم التنزيل للبغوي ٢٣/٥.

[2] – تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي ت٤٨٩هـ، تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس، طبعة دار الوطن السعودية، ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م، ١٧٧/٣.

**الصورة السادسة: المقابلة البديعة بين هذه الآية الكريمة وبين أول الآيات في قوله تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [النحل: ٢٢]**

وقع في هذه الآية الكريمة لون جليل من ألوان البلاغة السامقة الراقية الرفيعة، وهو المقابلة بين صنفين من البشر، صنف وصفه الله تعالى بأنهم لا يؤمنون بالآخرة، وقد انطوت قلوبهم على الاستكبار، وعدم الانقياد لله تعالى، وصنف آخر يسجد لله سبحانه وتعالى، ولا يستكبر عن عبادة ربه والانقياد له، الصنف الأول في قوله تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [النحل: ٢٢]، والصنف الثاني في هذه الآية الكريمة (ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ).

ولنترك المجال للأستاذ سيد قطب ليجلي لنا هذه الصورة البديعة بقلمه الفياض فيقول: نبدأ شوطا جديدا يفتتح بتقرير وحده الألوهية، ويعلل عدم إيمان الذين لا يؤمنون بالآخرة بأن قلوبهم منكرة، فالجحود صفة كامنة فيها تصدهم عن الإقرار بالآيات البينات وهم مستكبرون، فالاستكبار يصدهم عن الإذعان والتسليم، ويختم بمشهد مؤثر، مشهد الظلال في الأرض كلها ساجدة لله، ومعها ما في السموات وما في الأرض من دابة، والملائكة وقد برءت نفوسهم من الاستكبار، وامتلأت بالخوف من الله، والطاعة لأمره بلا جدال، هذا المشهد الخاشع الطائع يقابل صورة المستكبرين المنكرة قلوبهم في مفتتح هذا الشوط الجديد[1].

[1] – في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ٢١٦٦/٤.

**الصور البلاغية في الآية الخمسين من سورة النحل: قال الله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل: ٥٠]**

**مناسبة الآية لما قبلها**

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى جملة الساجدين له مما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة، وبين أن الملائكة منقادون له سبحانه وتعالى، لا يستكبرون عن عبادته، أتبع ذلك بتعليل خضوعهم بقوله دلالة على أنهم كغيرهم في الوقوف بين الخوف والرجاء (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل: ٥٠] يعني يسجدون خائفين وجلين من الرب تعالى، مثابرين على طاعته تعالى وامتثال لأوامره وترك زواجره[١].

**الصور البلاغية في الآية الكريمة وأثرها في المعنى التفسيري**

مما لا شك فيه أن هذه الآية الكريمة كغيرها من آيات كتاب الله تعالى ممتلئة بالألوان البديعية، من البلاغة الراقية، والأساليب الفصيحة الخلابة، وها نحن نميط اللثام ونكشف النقاب عن هذه الصور قدر الوسع والطاقة:

**الصورة الأولى: المجاز في قوله تعالى: (مِّن فَوْقِهِمْ)**

من الصور التي اشتملت عليها هذه الآية الكريمة المجاز، في قوله تعالى: (مِّن فَوْقِهِمْ) وقبل أن نخوض في هذه الصورة يجدر أن نقف مع مذهب العلماء في مثل هذه الآيات التي فيها ذكر لصفات يوهم ظاهرها مشابهته

[١] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧٤/١١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٧/٨.

تعالى للحوادث، مثل اليد والعين والعجب والفوق وغير ذلك، وقد اختلف الناس في المراد من هذه الآيات على ثلاث فرق:

أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها، بل تجري على ظواهرها، ولا يؤول منه شيء وهم المشبهه.

الثاني: أن لها تأويلا، ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا من الشبه والتعطيل، ونقول لا يعلمه إلا الله، وهو قول السلف.

الثالث: أنها مؤولة، وأولوها على ما يليق به سبحانه وتعالى، والأول باطل، والأخيران منقولان عن الصحابة[1].

قلت: وإلى هذا أشار صاحب جوهرة التوحيد بقوله:

**وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها**[2]

قال الإمام البيجوري – رحمه الله :فمما يوهم الجهة: قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) [النحل: ٥٠] فالسلف يقولون : فوقية لا نعلمها، والخلف

---

[1] – البرهان للزركشي ٧٨/٢، الإتقان للسيوطي ١٣٥٤/٤ حاشية محمد بن محمد الأمير على جوهرة التوحيد، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٨هـ= ١٩٤٨م، ص٩٨، شرح العلامة عبد السلام بن إبراهيم المالكي اللقاني على جوهرة التوحيد المسمى إرشاد المريد، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٨هـ= ١٩٤٨م، ص٩٨، حاشية الشيخ أحمد الصاوي على الخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٦هـ= ١٩٤٧م، ص٤٣، شرح الخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م، ص٤٣.

[2] – أرجوزة جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني ت١٠٤١هـ مع شرحها للبيجوري، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م، ص١٩٢.

يقولون: المراد بالفوقية التعالي في العظمة، فالمعنى يخافون أي الملائكة ربهم من أجل تعاليه في العظمة، أي ارتفاعه فيها[١].

وفي هذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها قد وقع المجاز في قوله تعالى: (مِّن فَوْقِهِمْ)، إذ يستحيل الفوقية المكانية على الله تعالى، وقد أطبق أكثر المفسرين على هذا المعنى.

قال الإمام الغزنوي: (يَخَافُونَ رَبَّهُم) أي عذابه وقضاءه، وقيل: معناه أن قدرته فوق ما أعارهم من القوى والعدد على مجاز (وهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) [الأنعام: ١٨][٢].

وقال الإمام ابن عطية في المحرر الوجيز: قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) [النحل: ٥٠] يحتمل معنيين أحدهما: الفوقية التي يوصف بها الله تعالى فوقية القدرة والعظمة والقهر والسلطان، والآخر: أن يتعلق قوله: "من فوقهم" بقوله: "يخافون" أي يخافون عذاب ربهم من فوقهم[٣].

---

[١] – تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ت١٢٧٧هـ، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م، ص١٩٤.

[٢] – وضح البرهان في مشكلات القرآن للعلامة محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي الملقب ببيان الحق ت٥٥٥هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، طبعة دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م، ٥٠٥/١.

[٣] – المحرر الوجيز لابن عطية ٣٩٩/٣.

وقال العز بن عبد السلام: "من فوقهم" أي من فوقهم بالقهر والإمكان، دون الجهة والمكان، لقوله عز وجل: (وإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) [الأعراف: ١٢٧] أي عذاب ربهم على حذف المضاف بدليل "من" أي من يخوفونهم[١].

وإلى تأويل هذه الصفة الواردة في قوله تعلى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) [النحل: ٥٠] جنح جل المفسرين في تفاسيرهم، ومالوا إلى أن هذه الجملة القرآنية من المجاز في اللفظ، أو المجاز بالحذف إن قدر محذوف، تقديره عذاب ربهم، وممن قال بهذا القول الإمام الفخر الرازي في مفاتيح الغيب[٢]، والثعالبي في الجواهر الحسان، وأبو حيان في النهر الماد من البحر، والكرماني في العجائب والغرائب، وأبو زهرة في زهرة التفاسير، وطنطاوي في الوسيط – رحمهم الله جميعا – وجعلنا جميعا على سننه المستقيم[٣].

---

[١] – تفسير القرآن العظيم للإمام عز الدين بن عبد السلام ت٦٦٠هـ من أول سورة يونس إلى نهاية سورة الكهف دراسة وتحقيق وتعليق، رسالة ماجستير للطالب عبد الله سالم بن مسلم بافرج، إشراف د. محمد الخضر الناجي ضيف الله، طبعة جامعة أم القرى السعودية، ١٤٢٠هـ، ص٤٤٥.

[٢] – مفاتيح الغيب ٤٧/٢.

[٣] – الجواهر الحسان ٣١٢/٢، النهر الماد من البحر ٢٤٩/١، غرائب التفسير وعجائب التأويل لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق د. شمران سركال يونس العجلي، طبعة مؤسسة علوم القرآن بيروت، دار القبلة جدة ١٩٨٣م ٦٠٦/١، زهرة التفاسير ٤١٩١/٨، التفسير الوسيط ١٦٥/٨.

**الصورة الثانية: عدم التصريح بالفاعل في قوله تعالى: (ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**

أسلوب راق من أساليب البلاغة الشائقة، وهو أسلوب جار على الأفعال التي لا يطلب لها فاعل، أو الفعل الذي لم يتم فاعله، وهو أسلوب بليغ يضفي على المعنى رونقا وبهاءا، إذ الأصل في الفعل بناؤه للمعلوم ولكن إذا بني للمجهول وحذف فاعله فلنكتة بلاغية، كما هو حاصل في هذه الآية الكريمة، وهذه النكتة هي العلم به إذ لا ينكر، ويستحيل أن يسند الفعل إلى غيره سبحانه.

قال أبو السعود رحمه الله: (ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل: ٥٠] أي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات، وإيراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الجلالة وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل، لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه، وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء[1].

**الصورة الثالثة: التئام الفواصل القرآنية في قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل: ٥٠]**

هذا لون بديع من ألوان علم البديع ينتهي إلى المحسنات اللفظية التي تعطي اللفظ رونقا وبهاء، وحسنا وجمالا، وهو المسمى عند علماء البلاغة بالسجع، ولكن لا يسمى في القرآن الكريم – على أرجح المذاهب – سجعا، وإنما يسمى بالفاصلة، وذلك لقوله تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) [فصلت: ٣]، فسماه فواصل فليس لنا أن نتجاوزه، ولأنه يشرف عن أن يشارك الكلام الحادث في اسم السجع، ولأن السجع في الأصل هدير الحمام ونحوه، والقرآن

[1] – إرشاد العقل السليم ٣/٣٧٠.

يشرف عن أن يستعار له لفظ في أصل الوضع لطائر[1]،فينبغي التأدب مع الكتاب الكريم، ولا يطلق هذا اللفظ عليه، وإنما يقال التئام الفواصل[2].

ونحن إذ نجيل النظر في هذه الآية الكريمة مع باقي الآيات التي سبقتها من السورة الكريمة والتي لحقتها، نجد أنها جاءت على جرس واحد، وهو حرف النون من أول السورة إلى آخرها، لم يختلف هذا إلا في آيات قليلة جاءت على حرف الميم، وأخرى أقل جاءت على حرف الراء، وفي هذا من الحسن اللفظي ما فيه، وهذه الصورة صالحة لكل مبحث من المباحث السابقة.

ولا عجب فهو القرآن الكريم سهل المساق، عذب المذاق، حسن الاتساق، متحدر في الأسماع، كتحدر الماء من السماء، لابس حلل الجزالة والفصاحة، سالم من الرذالة والفظاعة، فسبحان من أحكم صنعته ومبناه، وحلى لفظه ومعناه، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] – شرح عقود الجمان ص١٥٠.

[2] – وهو توافق الفاصلتين في النثر على حرف واحد، وهو ثلاثة أقسام:
المرصع: وهو ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، كقول الحريري: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، والمتوازي: ما اتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين، نحو قوله تعالى: (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً) [المرسلات: ١، ٢].
المطرف: هو ما اختلف فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، نحو (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وقَاراً (١٣) وقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) [نوح: ١٣، ١٤]، وهو أيضا إما قصير، أو متوسط، أو طويل. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ص٣٦٠، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ص١٧٥، البلاغة الواضحة ص٤٥٥.

## الخاتمـــة

**نسأل الله – تعالى العظيم– حسنها**

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

**وبعـد**

ففى ختام هذا العمل المتواضع، وبعد هذه التطواف في هذه الدوحة المباركة من سورة النحل، من الآية الثلاثين إلى الآية الخمسين، أضع أمام كل قارئ وباحث، أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وهى على النحو التالى :

- ظهر جليا بما لا يدع مجالا للشك من خلال معايشتي لهذا البحث في الصور البلاغية، أنه لا غنى لأي دارس لعلم التفسير عن استصحاب هذه العلوم الثلاثة، المعاني والبيان والبديع في دراسته لكتاب الله تعالى، فهي تظهر روعة القرآن الكريم وجماله، وتبين مرتبته التي بلغت الغاية العظمى في الفصاحة والبلاغة والبيان.
- كما ظهر أيضا أن القرآن الكريم قد حوى بين جنباته شتى صنوف البلاغة والفصاحة، وجمعها بين برديه، في أعلى صورة، وأجمل شكل.
- برز لنا جميعا من خلال هذه الدراسة القرآنية للألوان البلاغية في هذا الربع من سورة النحل، أن كثيرا من ألفاظ القرآن الكريم قد جمعت بين جنباتها الكثير من الصور البلاغية الرائقة، وفي هذا دلالة على أن القرآن الكريم متسق المباني، متحدر المعاني، در مرصوف، ولؤلؤ منضود، وتبر مسبوك، فهو متين الحبك، صفيق الديباجة، محكم النسج.

- من أجل ما للبلاغة وعلومها الثلاثة المعاني والبيان والبديع من قيمة عالية، ومكانة سامقة، في فهم مراد الله تعالى من كلامه الجليل، لذا ينبغي على قسم التفسير في سائر كليات الجامعة الأزهرية أن يولي هذه العلوم الثلاثة الاهتمام الذي يليق بها كأداة من أدوات المفسر الرصينة.

- الذي يجيل النظر في الصور البلاغية التي وردت في هذه الدراسة، يجزم بأنه ما من صورة بلاغية في القرآن الكريم إلا ولها غرض سام ترنو إليه، ونكتة لطيفة تحققها، مما يظهر جلال القرآن الكريم، وروعة إعجازه، وحسن سبكه، وتمام حبكه، ورقي نظمه، فقد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه، فهو كما قال الله تعالى فيه "وإنه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" (سورة فصلت ٤١،٤٢)

- ظهر لنا من خلال ما بسطناه في هذا البحث أن البلاغيين كأمثال عبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكرى والسكاكى وغيرهم وإن وضعوا قواعد علوم البلاغة وأسسوا دراستها ووضحوا معالمها إلا أن المفسرين كأمثال الزمخشرى أحيوا قواعدها ولموا شواردها ونبهوا على لطائفها من خلال إعمالهم لهذه العلوم فى تفاسيرهم .

وبعد فهذا بحثي المتواضع أقدمه بين يدي أساتذتي الكرام من السادة العلماء، راجيا من المولى – جل في علاه – أن ينال القبول في الدنيا، وأن يكون في ميزان الحسنات يوم الدين، وكلي يقين بأن ما فيه من صواب فهو بتوفيق الله تعالى، وبحوله وقوته لا بحولي وقوتي، وما كان فيه من خلل أو نقص فمن نفسى ومن الشيطان، والله سبحانه من ذلك براء، وحسبي أنني

بشر أخطئ وأصيب، والنقص مستول على جملة البشر، والله أسأل أن يعفو عني ويصفح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم بارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.

# المراجع


١- القرآن الكريم – جل من أنزله.

٢- الإتقان في علوم القرآن، للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٣- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، لعبد القادر القط، طبعة دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٨١م.

٤- أرجوزة جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني ت١٠٤١هـ مع شرحها للإمام البيجوري، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى الهادي الحنفي، ت٩٨٢هـ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، طبعة مطبعة السعادة، بدون.

٦- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت٥٣٨هـ ،تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية، ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.

٧- أسرار البلاغة، للإمام أبي بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت٤٧٤هـ، تقديم وتعليق محمود محمد شاكر، طبعة دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ= ١٩٩١م.

٨- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، للدكتور حسن طبل، طبعة دار الفكر العربي القاهرة، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

٩- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للإمام أبي محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي، ت٦٦٠هـ، طبعة دار الحديث القاهرة، بدون.

١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، ت١٣٩٣هـ، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد، طبعة دار عالم الفوائد السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للعلامة أبي الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، ت٦٩١هـ، طبع مع حاشية الإمام الشيخ حسن زادة محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، ت٩٥١هـ، طبعة دار الحقيقة استانبول، ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

١٢- الإعجاز في نظم القرآن الكريم، للدكتور محمود السيد شيخون، طبعة المؤسسة العربية الحديثة، بدون.

١٣- إعراب القرآن، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج، ت٣١١هـ تحقيق إبراهيم الإبياري، طبعة دار الكتب الإسلامية - دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني.

١٤- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، لبهجت عبد الواحد صالح، طبعة دار الفكر عمان، ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

١٥- ألفية ابن مالك في النحو والصرف للعلامة جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الاندلسي ت ٦٧٢هـ، طبعة دار الأقصى، بدون

١٦- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للإمام أبي عبد الله جلال الدين محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، بدون.

١٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، للعلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، ت١٢٢٤هـ، تحقيق عمر أحمد الزاوي، طبعة دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠١٠م.

١٨- البحر المحيط، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف، ت٧٤٥هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود –الشيخ علي محمد معوض – د.زكريا عبد المجيد النوتي – د.أحمد النجولي الجمل، تقريظ د.عبد الحي الفرماوي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط١٤١٣،١هـ= ١٩٩٣م.

١٩- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار التراث، بدون.

٢٠- بغية الإيضاح بتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للدكتور عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

٢١- البلاغة الواضحة المعاني والبيان، تأليف علي الجارم، ومصطفى أمين، طبعة دار قباء الحديثة، ٢٠١١م.

٢٢- البلاغة العالية علم المعاني، للدكتور عبد المتعال الصعيدي، تقديم عبد القادر حسين، طبعة مكتبة الآداب، ط٢، ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

٢٣- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، تأليف عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، طبعة دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

٢٤- البلاغة الاصطلاحية، للدكتور عبده عبد العزيز قلقية، طبعة دار الفكر العربي القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

٢٥- البيان، لكرم البستاني، طبعة مكتبة دار صادر بيروت، بدون.

٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة عبد الفتاح أحمد فراج، طبعة مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م.

٢٧- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ت٦٥٤هـ، تحقيق د. حنفي محمد شرف، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

٢٨- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، والمشتهر بالتحرير والتنوير، للإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢٩- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، ت١٢٧٧هـ، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

٣٠- تحقيق ودراسة كتاب التحبير في علوم التفسير، للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، رسالة

ماجيستير للطالب زهير عثمان علي نور، إشراف د. محمد شوقي خضر، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٣م.

٣١- التسهيل لعلوم التنزيل، للشيخ الإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت٧٤١هـ ،ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط،١ ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

٣٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق، طبعة دار المعارف، بدون.

٣٣- تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت٧٧٤هـ، تحقيق مصطفى السيد محمد –محمد السيد رشاد – محمد فضل العجماوي –علي أحمد عبد الباقي –حسن عباس قطب، طبعة مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

٣٤- تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي، طبعة مؤسسة أخبار اليوم، بدون.

٣٥- التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، تأليف محمد عزة دروزة، ت١٤٠٤هـ، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

٣٦- تفسير القرآن العظيم، للإمام العلامة أبي الحسن علم الدين علي بن محمد بن الصمد السخاوي المصري الشافعي، ت٦٤٢هـ، تحقيق د. موسى على موسى مسعود – د. أشرف محمد عبد الله القصاص، طبعة دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

٣٧- تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهواري، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م.

٣٨- تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، ت٣٩٩هـ، تحقيق أبي عبد الله بن حسين بن عكاشة –محمد بن مصطفى الكنز، طبعة الفاروق الحديثة القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٣٩- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي، ت٤٨٩هـ، تحقيق ياسر إبراهيم، وغنيم فارس، طبعة دار الوطن السعودية، ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.

٤٠- تفسير القرآن العظيم، للإمام عز الدين بن عبد السلام ت٦٦٠هـ من أول سورة يونس إلى نهاية سورة الكهف، رسالة ماجستير للباحث عبد الله بن سالم بن مسلم بافرج، إشراف د.محمد الخضر الناجي ضيف الله، طبعة مطبعة جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.

٤١- التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، طبعة دار الفكر العربي، ١٩٠٤م.

٤٢- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت٣٧٠هـ، تحقيق أ. أحمد عبد العليم البردوني – أ. علي محمد البجاوي، طبعة الدار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م.

٤٣- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، طبعة دار المعارف مصر، ط٣، ١٣٧٦هـ= ١٩٥٦.

٤٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الكبير أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ت٣١٠هـ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية والعربية بدار هجر، طبعة دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

٤٥- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، للإمام أبي عبد لله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المجيد التركي -محمد رضوان عرقسوس -خالد العواد - محمد معتز كريم الدين، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

٤٦- الجني الداني في حروف المعاني، للحسن بن القاسم المرادي، ت٧٤٩هـ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، د. محمد نديم فاضل، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

٤٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق د. يوسف الصميلي، طبعة المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

٤٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام عبد الرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، بدون.

٤٩- حاشية الشيخ زادة على تفسير الإمام البيضاوي، لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، ت٩٥١هـ، طبعة مطبعة الحقيقة استانبول، ١٤١١هـ= ١٩٩١.

٥٠- حاشية محمد بن محمد الأمير على جوهرة التوحيد، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٨هـ= ١٩٤٨م.

٥١- حاشية الشيخ أحمد الصاوي على الخريدة البهية، للشيخ أحمد الدردير طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ت١٣٦٦هـ= ١٩٤٧م.

٥٢- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي العلوي الهرري الشافعي، مراجعة هاشم محمد علي حسين، طبعة دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م.

٥٣- حلية اللب المصون على الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع، للشيخ عبد الرحمن الأخضري، والحلية للشيخ أحمد الدمنهوري، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٧هـ= ١٩٣٨م.

٥٤- الحيوان، للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت٢٥٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م.

٥٥- الخصائص، للإمام أبي الفتح عثمان بن جني، ت٣٩٢هـ، تحقيق محمد علي النجار، طبعة المكتبة العلمية، ١٩١٣م.

٥٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للعلامة أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت٧٥٦هـ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، طبعة دار القلم دمشق، ١٤٠٦هـ.

٥٧- دروس في البلاغة، للدكتور سعد سليمان حمودة، طبعة دار المعرفة القاهرة، ١٩٩٩م.

٥٨- دروس البلاغة، تأليف حفني ناصف -محمد دياب -سلطان محمد، طبعة المطبعة الأميرية بولاق، ١٣١٧هـ= ١٨٩٩م.

٥٩- دلائل الإعجاز، للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ت٤٧١هـ، تعليق محمود محمد شاكر، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

٦٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، للعلامة مفتي بغداد أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ت١٢٧٠ طبعة دار إحياء التراث العربي.

٦١- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ، طبعة المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٦٢- زهرة التفاسير، للشيخ العلامة محمد محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، بدون.

٦٣- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، للإمام أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت٩١١هـ، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٨هـ= ١٩٣٩م.

٦٤- شرح العلامة عبد السلام بن إبراهيم المالكي اللقاني على جوهرة التوحيد، المسمى إرشاد المريد، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٨هـ= ١٩٤٨م.

٦٥- شرح الخريدة البهية، للشيخ أبي البركات أحمد الدردير، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٦هـ= ١٩٤٧م.

٦٦- شموس البراعة في شرح دروس البلاغة، لأبي الأفضال محمد فضل الحق الرامفوسي، طبعة المطبع الآسي بالكهنؤ، ١٩٢٣م.

٦٧- صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت٢٥٦ ، الموسوم بالمسند الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢.

٦٨- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت٢٦١ ، الموسوم بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٩- صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، طبعة دار القرآن الكريم بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ= ١٩٨١م.

٧٠- الصورة الأدبية تاريخ ونقد، للدكتور علي علي صبح، طبعة دار إحياء الكتب العربية، بدون.

٧١- العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ترتيب وشرح أحمد أمين أحمد الزين –إبراهيم الإبياري تقديم عبد الحكيم راضي، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.

٧٢- علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تأليف الشيخ أحمد مصطفى المراغي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط٤، ١٤٢هـ= ٢٠٠٢م.

٧٣- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، للإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ت٤٥٦هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الجيل بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

٧٤- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت١٧٥هـ، تحقيق د. مهدي المخزومي –د. إبراهيم السامرائي، بدون.

٧٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، ت٧٢٨هـ على مصحف التهجد، طبعة دار الصفوة، ط١، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

٧٦- غرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، طبعة مؤسسة علوم القرآن بيروت، دار القبلة جدة، ١٩٨٣م.

٧٧- غصن البان المورق بمحسنات البيان، تأليف العلامة محمد صديق حسن خان القنوجي، مراجعة سمير حسن حلب –أحمد عبد الفتاح تمام، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

٧٨- فتح الرحمن بكشف ما تلبس من القرآن، للإمام شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، طبعة دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٧٩- الفلك الدائر على المثل السائر، للإمام عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، ت٦٥٦هـ، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه، طبعة دار نهضة مصر القاهرة، طبع في ذيل المثل السائر لابن الأثير.

٨٠- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، للإمام العالم أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، بدون.

٨١- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، طبعة دار الشروق، ط١٢، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

٨٢- في البلاغة العربية علم البيان، للدكتور محمد مصطفى هدارة، طبعة دار العلوم العربية بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

٨٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت٥٣٨، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود –الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، طبعة مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

٨٤- الكشكول، لبهاء الدين العاملي، ت٩٥٣هـ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م.

٨٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، طبعة المطبعة البهية بمصر، بدون.

٨٦- اللباب في علوم الكتاب، للإمام أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، ت٨٨٠هـ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود –الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق برسالته الجامعية د. محمد سعد رمضان حسن –د. محمد المتولي الدسوقي حرب، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.

٨٧- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن منظور ت٧١١هـ تحقيق عبد الله علي الكبير –محمد أحمد حسب الله –هاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، بدون.

٨٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، للعلامة أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري، تقديم د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، طبعة دار نهضة مصر، بدون.

٨٩- مجمع البيان، للإمام أبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي، ت٥٤٨هـ، طبعة ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م، بدون دار طباعة.

٩٠- محاسن التأويل، للإمام محمد جمال الدين القاسمي، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٧٦هـ= ١٩٥٧م.

٩١- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، للإمام القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت٥٤٦هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

٩٢- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة مكتبة لبنان، سنة ١٩٩٣م.

٩٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ت٧٠١هـ ،على هامش تفسير لباب التأويل للإمام الخازن، طبعة المطبعة البهية بمصر، بدون.

٩٤- معالم التنزيل، للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت٥١٦هـ، تحقيق محمد عبد الله النمر –عثمان جمعة ضمرية –سليمان مسلم الحرش، طبعة دار طيبة الرياض، ١٤١١هـ.

٩٥- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج، ت٣١١هـ، تحقيق عبد الجليل عبد شلبي، طبعة عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

٩٦- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، إعداد الدكتورة إنعام فوال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

٩٧- المعجم الوجيز، طبعة وزارة التربية والتعليم المصرية، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

٩٨- معجم مقاييس اللغة، للعلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر العربي بيروت، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.

٩٩- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام محمد بن العلامة ضياء الدين عمر المشهور بخطيب الري، ت٦٠٦هـ، طبعة دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

١٠٠- مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ت٦٢٦هـ، ضبط وتعليق نعيم زرزور، طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

١٠١- مفتاح البلاغة، للدكتور محمد محمد خليفة، وعبد الحكيم حسن نعناع، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.

١٠٢- ملحة الإعراب وسنخة الآداب، للإمام أبي محمد جمال الدين القاسم بن علي الحريري، بهامش تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب، للإمام محمد بن محمد عمر بحرق الحضرمي، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٠٣- من أسرار البلاغة في القرآن الكريم، تأليف الدكتور محمود السيد شيخون، طبعة المؤسسة العربية الحديثة القاهرة، ١٩٧٧م.

١٠٤- المنار في علوم البلاغة، تأليف عبد الحكيم حسن نعناع، طبعة مطابع الأهرام التجارية، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.

١٠٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر أبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت٨٨٥هـ، طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، بدون.

١٠٦- النكت والعيون، لأبي الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت٤٥٠هـ، مراجعة السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

١٠٧- النهر الماد من البحر المحيط، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف، ت٧٤٥هـ، تقديم وضبط بوران الضناوي وهديان الضناوي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

١٠٨- وضح البرهان في مشكلات القرآن، للإمام محمد بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الملقب ببيان الحق، ت٥٥٥هـ، تحقيق صفوان عدنان داودي، طبعة دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م.

# الفهرس


| |
|---|
| المقدمة |
| التمهيد |
| تعريف الصورة لغة واصطلاحا |
| تعريف البلاغة لغة واصطلاحا |
| المبحث الأول: الصور البلاغية في البيان عن المتقين وجزائهم |
| الصور البلاغية في الآية الثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى(وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) |
| الصورة الأولى: المقابلة في قوله تعالى: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) |
| الصورة الثانية: جمال الربط بالواو في قوله تعالى: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) |
| الصورة الثالثة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ...) |
| الصورة الرابعة: الفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد في قوله تعالى: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) |
| الصورة الخامسة: السؤال والجواب في قوله تعالى: (وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) |
| الصورة السادسة: الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: |

| |
|---|
| (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي ...) |
| الصورة السابعة: الجناس المغاير بين "اتقوا" و"المتقين" و"أحسنوا" و"حسنة" |
| الصورة الثامنة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) |
| الصورة التاسعة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) |
| الصورة العاشرة: الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ) |
| الصورة الحادية عشر: الطباق بين لفظي "الدنيا" و"الآخرة" |
| الصور البلاغية في الآية الحادية والثلاثين من سورة النحل قوله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ...) |
| الصورة الأولى: المقابلة في قوله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) |
| الصورة الثانية: حذف المسند إليه في قوله تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) |
| الصورة الثالثة: أسلوب القصر في قوله تعالى: (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) |

| |
|---|
| الصورة الرابعة: التشبيه في قوله تعالى: (كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ المُتَّقِينَ) |
| الصورة الخامسة: الإيجاز بالحذف في قوله: (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) |
| الصور البلاغية في الآية الثانية والثلاثين من سورة النحل قوله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) |
| الصورة الأولى: المجاز العقلي في قوله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) |
| الصورة الثانية: المقابلة في قوله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) |
| الصورة الثالثة: المجاز بالحذف في قوله تعالى: (الَذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ) |
| الصورة الرابعة: المبالغة في قوله تعالى: (طَيِّبِينَ) |
| الصورة الخامسة: المقابلة في قوله تعالى: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ) |
| الصورة السادسة: بلاغة الأمر الواقع في قوله تعالى: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ) |
| المبحث الثاني: الصور البلاغية في الحديث عن المشركين وعنادهم |
| الصور البلاغية في الآية الثالثة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى(هَلْ يَنظُرُونَ...) |

| |
|---|
| الصورة الأولى: الاستفهام في قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ) |
| الصورة الثانية: أسلوب القصر في قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ) |
| الصورة الثالثة: التشبيه في قوله تعالى: (كَذَلِكَ فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) |
| الصورة الرابعة: أسلوب الاعتراض في قوله تعالى: (ومَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) |
| الصورة الخامسة: تقديم المفعول به للتخصيص في قوله تعالى: (ولَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) |
| الصورة السادسة: الجناس المغاير بين لفظي "ظلمناهم" و"يظلمون" |
| الصور البلاغية في الآية الرابعة والثلاثين من سورة النحل قوله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا....) |
| الصورة الأولى: المجاز العقلي في قوله تعالى: (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ) |
| الصورة الثانية: المشاكلة في قوله تعالى: (فأصابهم سيئات) |
| الصورة الثالثة: ائتلاف اللفظ مع المعنى في قوله تعالى: (وحَاقَ بِهِم) |
| الصورة الرابعة: المجاز في قوله تعالى: (وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) |

| |
|---|
| المبحث الثالث: الصور البلاغية في الحديث عن قطع حجج المشركين وبيان وظيفة الرسل عليهم السلام |
| الصور البلاغية في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى(وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا...) |
| الصورة الأولى: الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا) |
| الصورة الثانية: جمال الربط بالواو في قوله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا) |
| الصورة الثالثة: الإطناب في قوله تعالى: (وقَالَ الَذِينَ أَشْرَكُوا) |
| الصورة الرابعة: التشبيه في قوله تعالى: (كَذَلِكَ فَعَلَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) |
| الصورة الخامسة: الاستفهام في قوله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) |
| الصورة السادسة: أسلوب القصر في قوله تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ) |
| الصور البلاغية في الآية السادسة والثلاثين من سورة النحل قوله تعالى: (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً) |
| الصورة الأولى: خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر في قوله تعالى: (ولَقَدْ بَعَثْنَا) |

| |
|---|
| الصورة الثانية: الاحتباك في قوله تعالى: (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) |
| الصورة الثالثة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) |
| الصورة الرابعة: الطباق في قوله تعالى: (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ومِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) |
| الصورة الخامسة: الالتفات في قوله تعالى: (ولَقَدْ بَعَثْنَا) |
| الصورة السادسة: خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر في قوله تعالى: (فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) |
| الصورة السابعة: الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: (فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ) |
| الصور البلاغية في الآية السابعة والثلاثين من سورة النحل قوله تعالى: (إن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ) |
| الصورة الأولى: الالتفات في قوله تعالى: (إن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ) |
| الصورة الثانية: خروج الشرط على غير مقتضى الظاهر في قوله تعالى: (إن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ) |
| الصورة الثالثة: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: (إن |

| |
|---|
| تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ) |
| الصورة الرابعة: الطباق في قوله تعالى: (لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) |
| الصورة الخامسة: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) |
| الصورة السادسة: مقابلة الجمع بالجمع في قوله تعالى: (ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) |
| الصورة السابعة: التتميم في قوله تعالى: (ومَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) |
| المبحث الرابع: الصور البلاغية في الحديث عن إنكار المشركين للبعث |
| الصور البلاغية في الآية الثامنة والثلاثين من سورة النحل: قال الله تعالى(وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...) |
| الصورة الأولى: جمال الوصل في قوله تعالى: (وأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) |
| الصورة الثانية: الاستعارة المكنية في قوله تعالى: (بَلَى وعْداً عَلَيْهِ حَقاً) |
| الصور البلاغية في الآية التاسعة والثلاثين من سورة النحل قوله تعالى: (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) |

| |
|---|
| الصورة الأولى: التعريف بالموصولية في قوله تعالى: (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) |
| الصورة الثانية: الإظهار في موضع الإضمار في قوله: (ولِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا) |
| الصورة الثالثة: التعريض في قوله تعالى: (ولِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) |
| الصور البلاغية في الآية الأربعين من سورة النحل قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) |
| الصورة الأولى: أسلوب القصر في قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ) |
| الصورة الثانية: المجاز المرسل في قوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ) |
| المبحث السادس: الصور البلاغية في الحديث عن جزاء المؤمنين الصادقين |
| الصور البلاغية في الآية الحادية والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى(والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ...) |
| الصورة الأولى: التعليل في قوله تعالى: (فِي اللهِ) |
| الصورة الثانية: المجاز بالحذف في قوله: (والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) |
| الصورة الثالثة: بلاغة تأكيد الخبر في قوله تعالى: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي |

| |
|---|
| الدُّنْيَا حَسَنَةً) |
| الصورة الرابعة: الطباق الواقع في قوله تعالى: (والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) |
| الصورة الخامسة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) |
| الصورة السادسة الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) |
| الصور البلاغية في الآية الثانية والأربعين من سورة النحل قوله تعالى: (الَذِينَ صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) |
| الصورة الأولى: التعريف بالموصول في قوله تعالى: (الَذِينَ صَبَرُوا) |
| الصورة الثانية: جمال الفصل في قوله تعالى: (الَذِينَ صَبَرُوا) |
| الصورة الثالثة: أسلوب القصر في قوله تعالى: (وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) |
| الصورة الرابعة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) |
| الصورة الخامسة: التلوين في الخطاب في قوله تعالى: (الَذِينَ صَبَرُوا وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " |
| المبحث السادس: الصور البلاغية في الحديث عن بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل عليهم السلام |

| |
|---|
| الصور البلاغية في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى(ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ...) |
| الصورة الأولى: أسلوب القصر في قوله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ) |
| الصورة الثانية: الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع في قوله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ) |
| الصورة الثالثة: تغيير الكلام من أسلوب التكلم إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى: (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ) |
| الصورة الرابعة: خروج الشرط على غير مقتضى الظاهر في قوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) |
| الصورة الخامسة: أسلوب الاعتراض في قوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ) |
| الصور البلاغية في الآية الرابعة والأربعين من سورة النحل قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) |
| الصورة الأولى: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) |
| الصورة الثانية: التقديم والتأخير في قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) |
| الصورة الثالثة: عطف التقسيم في قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ والزُّبُرِ) |

| |
|---|
| الصورة الرابعة: الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: (وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) |
| المبحث السابع: الصور البلاغية في الحديث عن سوء عاقبة الكافرين |
| الصور البلاغية في الآية الخامسة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى(أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ...) |
| الصورة الأولى: خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر بالاستفهام في قوله تعالى: (أَفَأَمِنَ الَذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) |
| الصورة الثانية: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) |
| الصورة الثالثة: الكناية في قوله تعالى: (أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ) |
| الصور البلاغية في الآية السادسة والأربعين من سورة النحل قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) |
| الصورة الأولى: الاستعارة في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) |
| الصورة الثانية: التعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: (فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ" |
| الصور البلاغية في الآية السابعة والأربعين من سورة النحل قوله |

| |
|---|
| تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) |
| الصورة الأولى: الاستعارة في قوله: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ) |
| الصورة الثانية: ائتلاف اللفظ مع المعنى في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ) |
| الصورة الثالثة: الانتقال من خطاب جمع إلى خطاب جمع غيره في قوله تعالى: (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) |
| الصورة الرابعة: التأكيد في قوله تعالى: (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) |
| المبحث الثامن: الصور البلاغية في الحديث عن انقياد الخلق لله تعالى |
| الصور البلاغية في الآية الثامنة والأربعين من سورة النحل: قال الله تعالى(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ) |
| الصورة الأولى: الاستفهام في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ) |
| الصورة الثانية: الإيجاز بالقصر في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) |
| الصورة الثالثة: الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) |

| |
|---|
| الصورة الرابعة: التفنن في العبارة في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) |
| الصورة الخامسة: الطباق في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) |
| الصورة السادسة: الإبداع في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) |
| الصورة السابعة: الاستعارة في قوله تعالى: (عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ) |
| الصور البلاغية في الآية التاسعة والأربعين من سورة النحل قوله تعالى: (وللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ والْمَلائِكَةُ) |
| الصورة الأولى: أسلوب القصر في قوله تعالى: (وَللهِ يَسْجُدُ) |
| الصورة الثانية: المجاز في قوله تعالى: (وللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ) |
| الصورة الثالثة: عطف الخاص على العام في قوله تعالى: (وللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ) |
| الصورة الرابعة: التعريض في قوله تعالى: (وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) |
| الصورة الخامسة: اللف والنشر في قوله تعالى: (وللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ) |
| الصورة السادسة: المقابلة البديعة في قوله تعالى: (وللَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي |

| |
|---|
| السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ) |
| الصور البلاغية في الآية الخمسين من سورة النحل قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) |
| الصورة الأولى: المجاز في قوله تعالى: (مِّن فَوْقِهِمْ) |
| الصورة الثانية: عدم التصريح بالفاعل في قوله تعالى: (ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) |
| الصورة الثالثة: التئام الفواصل القرآنية في قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) |
| الخاتمة<br>ثبت المراجع |
| فهرس الموضوعات |